مذكرات مستر همفر

الجاسوس البريطاني في البلاد الاسلامية

نقله الى العربية

الدكتور ج . خ

مذكرات مستر همفر

الجاسوس البريطاني في البلاد للاسلامية

مذكرات مستر همفر

مذكرات مستر همفر

الجاسوس البريطاني في البلاد الإسلامية

نقله إلى العربية

الدكتور ج . خ

١

كانت دولة بريطانيا العظمى تفكر منذ وقت طويل حول إبقاء الامبراطورية وسيعة كبيرة كما هي عليها الآن من اشراق الشمس على بحارها حين تشرق وغروب الشمس في بحارها حين تغرب فإن دولتنا كانت صغيرة بالنسبة إلى المستعمرات الكثيرة التي كنا نسيطر عليها في الهند وفي الصين وفي الشرق الأوسط وغيرها . صحيح إنّا لم نكن نسيطر سيطرة فعلية على أجزاء كبيرة من هذه البلاد لأنها كانت بيد أهاليها إلا أن سياستنا فيها كانت سياسة ناجحة وفعالة وكانت في طريق سقوطها بأيدينا كلية فكان اللازم علينا أن نفكر مرتين :

١ — مرة لأجل إبقاء السيطرة على ما تم السيطرة عليه فعلاً .

٢ — ومرة لأجل ضم ما لم تتم السيطرة عليه فعلاً إلى ممتلكاتنا ومستعمراتنا .

وقد خصصت وزارة المستعمرات لكل قسم من أقسام هذه البلاد جانباً خاصة لأجل دراسة هـذه المهمة وكنت أنا من حسن الحظ مورد ثقة الوزير منذ دخلناهذه الوزارة ، وعهد إلي بمهمة (شركة الهند الشرقية) التي كانت مهمتها في الظاهر تجارية بحتة وفي الباطن تعزيز سبل السيطرة على الهند وعلى طرقها الموصلة إلى هذه الأراضي الشاسعة شبه القارة .

وكانت الحكومة واثقة من الهند حيث القوميات المختلفة والأديان المتشتتة ، واللغات المتباينة والمصالح المتضاربة ، كما كانت الحكومة واثقة من الصين حيث أن البوذية والكنفوشيوسية الغالبة على هذه البلاد لم تكونا بحيث نخشى من قيامها لأنهما دينان ميتان يهتمان بجانب الروح فلا صلة لها بجانب الحياة. فكان من المستبعد أن يسري الشعور بالوطنية في أهالي هاتين المنطقتين ، ولذلك لم يكن يقلق بال حكومة بريطانيا العظمى هاتان المنطقتان (نعم) لم نكن غافلين عن إمكان تطور المستقبل ولذا كنا نضع الخطط الطويلة الأمد لأجل سيطرة التفرقة والجهل . والفقر ، وأحياناً المرض — أيضاً — على هذه البلاد وكنا لا نجد صعوبة في تغطية نوايانا بغطاء من المشتهيات النفسية لأهالي هذه البلاد براق في ظاهـره متين في واقعه فكنا بذلك نطبق المثل البوذي القديم (دع المريض يشعر بحبه للدواء وان كان مرّ المذاق) .

لكن الذي كان يقلق بالنا هي البلاد الإسلامية ، فإنا

وإن كنا قد عقدنا مع الرجل المريض [١]، عدة من المعاهدات كلها كانت في صالحنـا ، وكانت تقديرات خبراء وزارة المستعمرات أن الرجل يلفظ نفسه الأخير في أقل من قرن ، وكذلك كنا قد عقدنا مع حكومة الفرس — سراً — عدة معاهدات ، وكنا قد زرعنا الجواسيس والعملاء في هذين البلدين ، وكانت الرشوة ، وفساد الادارة ، وانشغال ملوكها بالنساء الحسناوات قد نخرت في جسم هذين البلدين إلا أنا لم نكن نثق بالنتائج وذلك لعدة أسباب أهمها :

١ — قوة الإسلام في نفوس أبنائه فإن الرجـل المسلم يلقي قياده إلى الإسلام بكل صلابة حتى أنك ترى الإسلام في نفس المسلم بمنزلة المسيحية في نفوس القساوسة والرهبان ، وترهق نفوسهم ولا تخرج المسيحية منهـا وكان المسلمون (الشيعة) في البـلاد الفارسية أخطر حيث إنهم يرون المسيحية كفـاراً نجسين فإن المسيحي عنـد الشيعي بمنزلة القذارة المتعفنة في يد أحدنا حيث يصرف همه في إزالته ، وذات مرة سألت عن أحدهم : لماذا تنظرون إلى المسيحي بهذا المنظار ؟ قال : ان نبي الإسلام كان رجلاً حكيماً وأراد أن يطوّق كل كافر بدائرة من الضغط الأدبي لكي يحس بالضيق والوحشة ليكون من أسباب هدايته إلى الله وإلى الدين الصحيح كما أن الحكومة إذا أحست من إنسان

(١) يقصد الامبراطورية العثمانية .

الخطر طوقته بدائرة من المقاطعة حتى يرجع إلى الطاعة والانقياد ، والنجاسة التي ذكرتها هي نجاسة معنوية لا مادية ظاهرية وهي ليست خاصة بالمسيحية بل تشمل كل كافر حتى المجوس الذين هم پارسيون من القديم هم نجس في منطق الإسلام .

(قلت له) حسناً ولكن لماذا المسيحيون نجس وهم يعتقدون بالله والرسالة ويوم المعاد ؟ قال : لأمرين (الأول) انهم ينكرون نبيّنا (محمداً) وهذا يعني أنهم يقولون أن محمداً كاذب ونحن في قبال هذا الاتهام نقول أنتم أيها المسيحيون نجس طبقاً لقانون العقل الحاكم بأن من آذاك فلك أن تؤذيه (الثاني) انهم ينسبون إلى أنبياء الله نسباً غير لائقة مثل انهم يقولون : ان المسيح كان يشرب الخمر ، وكان ملعوناً لأنه علّق على الخشبة .

(قلت له) في دهشة : لا يقول المسيحيون هكذا قال : أنت لا تعلم أنهم في (الكتاب المقدس) عندهم يقولون ذلك . فسكت وأنا واثق بأن الرجل كان كاذباً في الأمر الثاني وان كان صادقاً في الأمر الأول ، ولم أرد أن أطاول معه النقاش لأني خشيت أن تثار حولي شبهة (حيث كنت أنا في الزي الإسلامي : وكنت أتجنب الزاوية الحادة دائماً) .

٢ ـ ان الإسلام كان ذات يوم دين حياة وسيطرة

ومن الصعب عليك أن تقول للسادة أنتم عبيد ، فإن نخوة السيادة تدفع بالإنسان إلى التعالي مهما كان في ضعف وانحطاط ولم يكن بامكاننا أن نزيّف تاريخ الإسلام حتى نشعر المسلمين بأن السيادة التي حازوها كانت بفعل ظروف خاصة قد ولّت إلى غير رجعة .

٣ ـ لم نكن نأمن من تحرك الوعي في نفوس (آل عثمان) و (حكام فارس) مما يوجب فشل خططنا الرامية إلى السيطرة ، صحيح أن الحكومتين قد بلغتا من الضعف مبلغاً كبيراً كما ألمحنا إليه إلا أن وجود حكومة مركزية يواليها الناس وبيدها السيادة والمال والسلاح يجعل الإنسان غير آمن .

٤ ـ كنا شديدي القلق من علماء المسلمين ، فعلماء الأزهر ، وعلماء العراق ، وعلماء فارس كانوا أمنع سداً أمام آمالنا فإنهم كانوا في غاية الجهل بمبادىء الحياة العصرية وقد جعلوا نصب أعينهم (الجنة التي وعدهم بها القرآن) فكانوا لا يتنازلون قدر شعرة عن مبادئهم ، وكان الشعب يتبعهم والسلطان يخشاهم خوف الفئران من الهرة ، صحيح أن أهل السنة كانوا أقل اتباعاً لعلمائهم ، فإنهم يقيمون الولاء بين السلطان وبين شيخ الإسلام ، وأهل الشيعة كانوا أشد ولاءاً للعلماء لأنهم يخلصون الولاء للعالم فقط ، ولا يعيرون السلطان أهمية كافية ، إلا أن هذا الفرق لم يكن

ليخفف شيئاً من القلق الذي كان يساور وزارة المستعمرات بل كل حكام بريطانيا العظمى .

وقد عقدنا المؤتمرات الكثيرة لنلتمس الحلول الكافية لهذه المشاكل المقلقة لكننا في كل مرة لم نجد أمامنا إلا الطريق المسدود ، وكانت التقارير التي تأتينا بانتظام عن العملاء والجواسيس مخيبة للآمال ، كما كانت نتائج المؤتمرات كلها صفراً أو تحت الصفر ، لكننا لم نكن ندع المجال لليأس فينا ، حيث عوّدنا أنفسنا النفس الطويل ، والصبر اللامتناهي .

وأذكر ذات مرة عقدنا مؤتمراً حضره الوزير بشخصه وأكبر القساوسة ، وعدد من الخبراء ، كان عددنا جميعاً عشرين شخصاً ، وطال النقاش أكثر من ثلاث ساعات ، وانتهينا بدون أية نتيجة ، إلا أن القس قال : (لا تنزعجوا فإن المسيح لم يصل إلى الحكم إلا بعد ثلاثمائة سنة من الاضطهاد والتشريد والقتل له ولاتباعه . وعسى أن ينظر إلينا المسيح نظرة من ملكوته فيمنحنا إزالة الكفار عن مراكزهم ولو بعد ثلاثمائة سنة ، فعلينا أن نتسلح بالإيمان الراسخ والصبر الطويل واتخاذ كافة الوسائل والسبل للسيطرة ونشر المسيحية في ربوع المحمديين ولو وصلنا إلى النتيجة بعد قرون ، فإن الآباء يزرعون للأبناء) .

وحتى انه ــ ذات مرة ــ عقد في الوزارة مؤتمر حضره

ممثلون من كل من بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا وكان مؤتمراً في أعلى المستويات وكان الحاضرون لفيفاً من الهيئات الدبلوماسية ورجال الدين وكان من حسن حظي أن حضرت ذلك المؤتمر لعلاقتي الوطيدة بالوزير وعرض المؤتمرون مشاكل المحمديين عرضاً وافياً ، ذكروا فيه سبل تمزيقهم وسلخهم عن عقيدتهم وإرجاعهم إلى حضيرة الإيمان كما رجعت اسپانيا إليها بعد قرون من غزو المحمديين البرابرة لها لكن النتائج لم تكن بالمستوى المطلوب ، وقد كتبت أنا كلما دار من نقاش في ذلك المؤتمر في كتابي (إلى ملكوت المسيح) .

إنه من الصعب ان تقلع جذور شجرة امتدت إلى شرق الأرض وغربها ، لكن الإنسان يجب عليه أن يذلل الصعاب مهما كان الثمن ، ان المسيحية لم تأت إلا لتنتشر ، وقد وعدنا بذلك السيد المسيح نفسه ، أما محمد فقد ساعده ظرف انحطاط العالمين الشرقي والغربي وظرف الانحطاط إذا ولّى فقد يذهب معه أيضاً ما رافقه من ويلات ومن حسن الظن أن الأمر قد انعكس فقد انحط المحمديون وارتفعت بلاد المسيح فآن الوقت لأن نطلب الثأر ونسترجع ما فقدناه طيلة قرون ، وها هي دولة قوية عصرية هي بريطانيا العظمى تأخذ بزمام هذه المبادرة المباركة .

٢

أوفدتني وزارة المستعمرات عام (١٧١٠) إلى كل من مصر والعراق ، وطهران ، والحجاز ، والآستانة ، لأجمع المعلومات الكافية التي تعزز سبل تمزيقنا للمسلمين ، ونشر السيطرة على بلاد الإسلام ، وبُعث في نفس الوقت تسعة آخرين من خيرة الموظفين لدى الوزارة ممن تكتمل فيهم الحيوية والنشاط والتحمس لسيطرة الحكومة الى سائر الأجزاء للامبراطورية ، وسائر بلاد المسلمين ، وقد زودتنا الوزارة بالمال الكافي ، والمعلومات اللازمة ، والخرائط الممكنة ، وأسماء الحكام والعلماء ورؤساء القبائل ، ولم أنس كلمة السكرتير حين ودعنا باسم السيد المسيح وقال : (ان على نجاحكم يتوقف مستقبل بلادنا فابدوا ما عندكم من طاقات للنجاح) .

فأبحرت أنا ميمماً وجهة الاستانة مركز الخلافة الإسلامية وكانت مهمتي مزدوجة ، وحيث كان من المفروض أن أكمل تعلمي للغة التركية لغة المسلمين هناك فقد كنت تعلمت شيئاً كثيراً من ثلاث لغات في لندن اللغة التركية ، ولغة العرب (لغة القرآن) واللغة الفلهوية لغة أهل فارس ، لكن تعلم اللغة شيء والسيطرة على اللغة حتى يتمكن الإنسان أن يتكلم مثل لغة أهل البلاد شيء آخر ، فبينما لا يستغرق

الأول إلا سنوات قلائل ، يستغرق الأمر الثاني أضعاف ذلك الوقت ، فإن المفروض أن أتعلم اللغة بكافة دقائقها حتى لا يثار حولي شبهة .

ولكنني لم أكن أقلق لهذه الجهة لأن المسلمين عندهم تسامح ورحابة صدر وحسن ظن كما علمهم نبيهم فالشبهة عندهم لا تكون كالشبهة عندنا ، ومن طرف آخر فإن حكومة الأتراك لم تكن في المستوى اللائق لكشف الجواسيس والعملاء فقد كانت حكومة آخذة في الضعف والهزال مما يؤمن جانبنا .

وبعد سفرة مضنية وصلت إلى آستانة وسميت نفسي (محمداً) وأخذت أحضر المسجد (مكان اجتماع المسلمين لعبادتهم) وراقني النظام والنظافة والطاعة التي وجدتها عندهم ، وقلت في نفسي : لماذا نحارب نحن هؤلاء البشر ؟ ولماذا نعمل من أجل تمزيقهم وسلب نعمتهم ؟ هل أوصانا المسيح بذلك ؟ لكنني رجعت فوراً واستغفرت من هذا التفكير الشيطاني ، وجددت العزم على أن أشرب إلى آخر الكأس .

وقد التقيت هناك بعالم طاعن في السن اسمه (أحمد أفندم) وكان من طيب النفس ورحابة الصدر وصفاء الضمير وحب الخير ، ما لم أجده في أحسن رجال ديننا ، وكان الشيخ يحاول ليله ونهاره في أن يتشبه بالنبي محمد ، فكان يجعله

المثل الأعلى ، وكلما ذكره فاضت عيناه بالدموع ، ومن حسن الحظ أنه لم يسألني – حتى مرة واحدة – عن أصلي ونسبي وإنما كان يخاطبني (محمد أفندي) ويعلمني ما كنت أسئله ويحنو علي حنواً كبيراً حيث عرف اني ضيف في بلادهم جئت لأن أعمل ولأجل أن أكون في ظل السلطان الذي يمثل النبي محمداً (فقد كانت هذه حجتي في البقاء في الآستانة) .

وكنت قد قلت للشيخ : إني شاب قد مات أبي وأمي وليس لي أخوة ، وتركوا لي شيئاً من المال ففكرت أن أكتسب وأن أتعلم القرآن والسنة فجئت إلى مركز الإسلام لأحصل على الدين والدنيا فرحب بي الشيخ كثيراً وقال لي ما نصه – وقد كتبته بلفظه – ان الواجب أن نحترمك لعدة أسباب :

١ – لأنك مسلم والمسلمون إخوة .

٢ – ولأنك ضيف وقد قال رسول الله ﷺ (أكرموا الضيف) .

٣ – ولأنك طالب علم والإسلام يؤكد على إكرام طالب العلم .

٤ – ولأنك تريد الكسب وقد ورد نص بأنه (الكاسب حبيب الله) .

وقد اعجبت أنا بهذه الأمور أيما إعجاب ، وقلت في نفسي يا ليت كانت المسيحية تعي مثل هذه الحقائق النيرة ، لكني تعجبت كيف أن الإسلام في هذه الرفعة شمله الضعف والانحطاط على أيدي هؤلاء الحكام المغرورين وهؤلاء العلماء الجهلة بالحياة .

قلت للشيخ : إني أريد أن أتعلم القرآن المبين ، فرحب الشيخ بالطلب وأخذ يعلمني من سورة (الحمد) ويفسر لي المعاني وقد كنت أجد مشقة في النطق ببعض ألفاظها ، وأحياناً كانت المشقة منتهاها ، وأذكر أني لم أتعلم النطق بجملة (وعلى أمم ممن معك) إلا بعد تكرارها عشرات المرات في ظرف اسبوع ، حيث قال لي الشيخ اللازم عليك الادغام حتى تتولد ثمان ميمات ، وكيفما كان فقد قرأت القرآن عنده في مدة سنتين كاملتين من أوله إلى آخره ، وكان إذا أراد تعليمي توضأ وضوء الصلاة وأمرني بالتوضيء كما كان هو وأنا نجلس إلى جهة القبلة .

والجدير بالذكر أن أذكر أن (الوضوء) عند المسلمين جملة من الاغسال فأولاً يغسلون الوجه وثانياً اليد اليمنى من الأصابع إلى المرفق وثالثاً اليد اليسرى من الأصابع إلى المرفق ورابعاً يمسحون الرأس وخلف الأذنين والرقبة ، وخامساً يغسلون الرجلين .

ويقولون : الأفضل أن يدير الشخص الماء في فمه ،

وأن يسحب الماء إلى الأعلى في أنفه ، قبل البدء في الوضوء .

وقد كنت انزعج انزعاجاً كبيراً من (المسواك) وهي عودة يدخلونها في أفواههم لأجل تنظيف الأسنان قبل الوضوء ، فقد كنت أعتقد أن هذه العودة تضر الأسنان والفم ، وكانت أحياناً تجرح الفم ويخرج الدم منه ، لكني كنت مجبوراً أن أفعل ذلك لأنها عندهم سنة مؤكدة أمر بها نبيهم محمد وهم يذكرون لها فضائل كثيرة ......

لقد كنت أيام إقامتي في (الآستانة) أنام عند خادم المسجد لقاء ما أعطيه من المال وكان انساناً عصبي المزاج واسمه (مروان أفندي) وهو اسم أحد أصحاب الرسول محمد ، وكان الخادم يعتز بهذا الاسم المبارك ، وكان يقول لي : ان رزقت ولداً سمّه (مروان) لأنه من كبار الشخصيات المجاهدين في الإسلام .

وكنت اتعشى هناك عند الخادم حيث كان يجيء لي الطعام ، وأيام الجمعة (وهي عيد المسلمين) لم أكن أذهب إلى العمل ، أما سائر الأيام فقد كنت أذهب إلى نجار هناك اشتغل عنده لقاء أجر زهيد كان يدفعه لي اسبوعياً . وحيث كان عملي في فترة الصباح فقط فقد كان يجري لي نصف أجور سائر عماله ، وكان اسم النجار (خالد) وكان يثرثر في أوقات فراغه عن فضائل (خالد

ابن الوليد) الفاتح الإسلامي الذي صحب محمداً النبي وأبلى في الإسلام بلاءاً حسناً لكنه كان يحز في نفسه أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما تولى الخلافة عزل خالد بن الوليد .

وكان خالد صاحب المحل سيء الأخلاق عصبي المزاج إلى أبعد حد وكان يطمئن مني اطميناناً لم أدر سببه ، ولعله وثق بي حيث كنت سامعاً مطيعاً له ، لا أناقشه في شؤونه الدينية ، ولا في شؤون دكانه ، وكان إذا خلى بي طلب مني أن يلوط بي وكان هذا العمل عندهم من أشد الممنوعات — كما قال لي الشيخ أحمد — إلا أن خالداً كان لا يهتم بالشريعة في باطن أمره وان كان في ظاهر أمره ملتزماً بالتظاهر عند رفقائه بها ، وكان يحضر صلاة الجمعة أما سائر الأيام لا أعلم هل كان يصلي أم لا ؟ لكني كنت امتنع عن اعطائه رغبته ؛ وأظن أنه كان يعمل ذلك مع بعض آخر من عماله ، حيث كان أحد العاملين شاباً جميلاً من (سلانيك) وكان يهودياً قد أسلم ، فكان يصحبه معه أحياناً إلى خلف المحل الذي كان مخزناً لأخشابه ، ويتظاهران انهما يذهبان هناك لإصلاح المخزن ؛ لكني كنت أعلم انهما يذهبان لقضاء الحاجة

كنت اتغدى في الدكان ، ثم أذهب للصلاة في المسجد ثم أبقى في المسجد إلى وقت العصر ، فإذا فرغت من صلاة العصر ذهبت إلى دار (الشيخ أحمد) وأبقى معه مدة

ساعتين أتعلّم عنده القرآن ، واللغة التركية ، واللغة العربية
وفي كل جمعة كنت أدفع له زكاة بما حصلت عليـــه في الاسبوع من المال . وفي الحقيقة الزكاة كانت رشوة مني له لاستمرار علاقتي به ، ولأجل أن يعلمني أفضل تعليم وكان هو لا يقصّر في تعليمي القرآن ومبادىء الإســـلام ودقائق اللغتين العربية والتركية .

ولما علم الشيخ أحمد اني أعزب طلب إليّ أن يزوجني إحدى بناته لكني أبيت ذلك بحجة اني (عنيّن) لا أملك ما يملكه الرجال ، ولم أبد له هذا العذر إلا بعد أن أصرّ وكاد أن ينفصم معه علاقــتي من أجل أنه كان يقول : الزواج سنة الرسول ، وقد قال الرسول (من رغب عن سنتي فليس مني) وحينذاك لم أجد بداً من إظهار هـــذا المرض (المكذوب له) فاقتنع الشيخ وعادت العلاقــة كما كانت من الود والصفاء .

بعـــد اتمام سنتين من مكثي في (الآستانة) استأذنت للعودة إلى وطني ولكن الشيخ لم يأذن قائلاً : لماذا الرجوع ؟ ان الآستانة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وقد جمع الله فيها بين الدنيا والدين ، وأردف : انك قلت سابقاً انه مات أبوك وأمك وليس لك أخوة فاجعل الآستانة وطنك.. وكان الشيخ يصر عــليّ في البقاء لانسه بي ، وكنت أنا أيضاً أنست به أنساً كبيراً ، لكن الواجب الوطني كان

يجبرني بالرجوع إلى لندن لتقديم تقرير مفصل عن الأوضاع في عاصمة الخلافة ، ولأتزوّد بأوامر جديدة حول مهمتي .

وقد جرت العادة — طيلة مكثي في الاستانـــة — أن أقدم كل شهــر تقريراً عن حالي وعن التطورات وعمـــا شاهدته إلى وزارة المستعمرات ، وأذكر ذات مرة قدمت تقريراً ضمنته ما أراد معي صاحب المحل من عمل اللواط ، فجاء الرد أن لا مانع من ذلك إذا كان في هـــذا الفعل تسهيل الوصول إلى الهدف ، ولما قرأت الجواب دارت بي الأرض الفضاء وفكرت كيف لا يستحي رؤسائي من الأمر بمثل هذا العمل الشنيع . لكنه لم يكن لي بد من شرب الكأس إلى الثمالة فبقيت في وظيفــتي دون أن أنبس ببنت شفة .

وفي يوم الوداع مع الشيخ انهمرت عيناه بالدموع ، وودعني قائلاً : الله معك يا ولدي ، وإذا عدت إلى هذا البلد وأنا ميت فاذكرني ، وسوف نلتقي عند رسول الله ﷺ في المحشر ، وفي الواقع انني تأثرت تأثراً بالغاً وجرت دموعي حارة ، لكن الواجب كان فوق العواطف .

٣

كان الرفـــاق التسعة الآخرون تلقوا أوامر من الوزارة

خصورهـــم إلى لندن كما تلقيت أنا أيضاً لكن من سوء الحظ لم يرجع منا إلا ستة فقط .

أما الأربعة الآخرون فقد صار أحدهم مسلماً وبقي في مصر — كما أخبرنا بذلك السكرتير — لكن السكرتير أظهر ارتياحه بأنه لم يفش السر كما التحق أحدهم بروسيا وقد كان هذا من أصل روسي وكان السكرتير يبدي قلقاً شديداً حوله : لا لأنه التحق بالوطن الأم ، ولكن من أجل ان السكرتير كان يظن ان الرجل كان جاسوساً من قبل الروس في وزارة المستعمرات فلما انتهت مهمته رجع إلى بلاده ، وكان الثالث منهم مات في (عمارة) بلد طرف (بغداد) على أثر (وباء) اجتاح البلاد هناك على ما أخبرنا السكرتير بذلك ، أما الرابع فلم يعلم عن مصيره إذ راقبته الوزارة حتى وصوله إلى (صنعاء) في (اليمن) من بلاد العرب وكانت تقاريره ترسل بانتظام إلى الوزارة فترة سنة : لكنها انقطعت بعد ذلك ، وكلما حاولت الوزارة الاطلاع على أحواله لم تحصل على شيء ، وقد كانت الوزارة تعتبر خسارة أربعة من عشرة كارثة حيث كنا نحسب لكل انسان حساباً دقيقاً ، فإنا أمة قليلة العدد كبيرة المهام ، تفقد كل انسان من هذا الطراز كان كارثة عندنا .

وبعد أن سمع السكرتير أوليات تقاريري : أرسلني إلى مؤتمر عقد لأجل الاستماع إلى تقاريرنا — نحن الستة — وقد

اجتمع حشد كبير من وزارة المستعمرات برئاسة الوزير نفسه لاستماع تقاريرنا ، وقدم زملائي تقارير أولية عن المهمة التي أوكلت إليهم ، كما قدمت أنا تقريراً التقطت فيه رؤس الأقلام ، واستحسن أعمالي الوزير والسكرتير وبعض الحاضرين : لكنني لاحظت اني كنت الثالث من حيث جودة العمل : حيث كان الزميلان (جورج بلكود) و (هنري فانس) في الدرجتين الأولى والثانية من حيث جودة العمل .

لقد كنت نجحت نجاحاً باهراً في تعلم التركية والعربية وتعلم القرآن والشريعة ، لكني لم أحرز نجاحاً في تقديم تقرير يدل الوزارة على مواقع الضعف في الدولة العثمانية . وبعد ما انفض المجلس الذي دام ست ساعات ألفت نظري السكرتير إلى هذه النقطة من الضعف (قلت له) ان مهمتي كانت تعلم اللغة والشريعة والقرآن ، ولذا فإني لم أبذل وقتاً كافياً لغير ذلك وسوف أكون عند حسن ظنكم في السفرة القادمة ان أوليتم ثقتكم بي (قال) السكرتير لا شك أنك ناجح لكني آمل منك أن تحرز قصب السبق في هذه الحلبة .

ان مهمتك (يا همفر) في السفرة القادمة أمران

١ — أن تجد نقطة الضعف عند المسلمين ، والتي نتمكن بها من ان ندخل في جسمهم ونبدد أوصالهم ،

فإن أساس النجاح على العدو هو هذا .

٢ — ان تكون أنت المباشر لهذا الأمر إذا ما وجدت نقطة الضعف ، فإن قدرت على المهمة فسوف اطمئن بأنك أنجح العملاء ، وستستحق وسام الوزارة .

بقيت في لندن مدة ستة أشهر وتزوجت بابنة عمي (ماري شوای) التي كانت تكبرني سنة ، فكان عمري إذ ذاك اثنتين وعشرين سنة بينما كان عمرها ثلاثاً وعشرين سنة وكانت فتاة متوسطة الذكاء بارعة الجمال وثقافتها عادية وقضيت أجمل أيام حياتي معها تلك المدة وحملت مني وقد كنت انتظر الضيف الجديد بفارغ الصبر وإذا بالأوامر الصارمة تصدر من الوزارة في ان أتوجه إلى اقليم (العراق) البلد العربي الذي استعمرته الخلافة منذ زمن طويل .

وقد أسفت لهذه الأوامر في وقت انتظر فيه ولدي ، لكن اهتمامي ببلدي وحبي للشهرة بين زملائي كانا يفوقان عواطف الزوجية والولد ولذا لم أتردد في القبول رغم إلحاح زوجتي أن ارجيء الأمر إلى بعد ولادتها ، ويوم فارقتها بكيت أنا وبكت هي بكاءاً مراً ، وقالت لي : لا تنقطع عني بإرسال الرسائل كما سأخبرك أنا أيضاً عبر الرسائل بعشّنا الذهبي الجديد وهذه الكلمة كانت عاصفة على قلبي حتى انني هممت أن ألغي السفرة لكنني تملكت عواطفي

وودعتها وخرجت إلى الوزارة لأحصل على الارشادات الأخيرة .

وبعد ستة أشهر وجدت نفسي (في البصرة) من (العراق) وهو بلد عشائري وأهله مختلطون من السنة والشيعة الجناحين الإسلاميين كما انهم مختلطون من العرب والفرس وفيهم قلة من المسيحيين .

ولأول مرة في طول حياتي التقي بالشيعة وبالفرس ولا بأس أن أذكر شيئاً عن الشيعة والسنة ، فالشيعة هم ينتسبون إلى علي بن أبي طالب وهو صهر رسولهم على بنته (فاطمة) وكان في نفس الوقت ابن عم الرسول أيضاً وتقول الشيعة ان رسولهم محمداً عيّن علياً خليفة من بعده وقال بأن علياً وأولاده الأحد عشر خليفة بعد خليفة .

واني أظن ان الحق مع الشيعة في (خلافة علي والحسن والحسين) لأن الثابت من التاريخ الإسلامي — حسب مطالعاتي — أن علياً كان يمتاز بصفات نفسية عالية تؤهله لقيادة ، ولا استبعد ان يكون الرسول (محمد) قال بأن الحسن والحسين أيضاً إمامان ، وهذا ، لا ينكره أهل السنة أيضاً ، لكنني أشك في نفس الوقت بأن أولاد الحسين (التسعة) أيضاً عينهم الرسول (محمد) خلفاء له ، إذ كيف يعلم (محمد) المستقبل ، لأنه قد مات والحسين طفل ، فكيف يعلم بأنه سيكون للحسين أولاد ويكونون

مسلسلين إلى تسعة (نعم) لو كان (محمد) رسولاً حقاً لكان من الممكن أن يعلم كل ذلك بإرشاد من الله كما كان المسيح يخبر بالمستقبل ، لكن نبوة محمد مشكوكة عندنا نحن المسيحيين .

ان المسلمين يقولون : بأن القرآن دليل نبوة (محمد لكني قرأت القرآن فلم أجد فيه دليلاً ، انه لا شك كتاب رفيع ، بل هو أرفع مستوى من التوراة والإنجيل ففيه دساتير وأنظمة وأخلاقيات وغير هذه ، لكن هل هذا وحده كفيل بالدلالة على صدق (محمد) .

إنني متحير في أمر (محمد) أشد التحير ، ان رجلاً بدوياً لا يقرأ ولا يكتب كيف يمكنه أن يأتي بهذا الكتاب الرفيع ، وهو شخصياً يكون ذا خلق وذكاء لم يعهد مثلها في أي عربي دارس فكيف بالعربي البدوي الذي لم يقرأ ولم يكتب ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر : فهل يكفي مثل ذلك للتدليل على نبوته ؟

لقد كنت دائم التطلع لكي أتعرف على هذه الحقيقة ، وطرحت — ذات مرة — هذا الموضوع مع أحد القساوسة في لندن ، لكنه لم يأت بجواب مقنع وإنما تكلم عن تعصب وعناد ، كما أني مرات فتحت هذا البحث مع الشيخ أحمد في تركيا فلم يأت بجواب مقنع لي ، لكن من الحق أن أقول : اني لم أقدر أن أتكلم مع الشيخ بصراحة خوفاً من

أن ينكشف أمري ، أو يشك فيّ .

وعلى أي حال : فإنني أقدر (محمداً) تقديراً كبيراً ، انه لا شك كان من طراز أنبياء الله الذين نقرأ عنهم في الكتب ، لكنني غير مقتنع بنبوته إلى الآن ، ولو فرضنا أنه لم يكن نبياً ، لكن من المستحيل ان يعتقد الانسان الذي يحترم ضميره انه مثل سائر العباقرة ، انه لا شك كان فوق العباقرة ، وأرفع من الأذكياء

أما أهل السنة فانهم يقولون : بأن المسلمين رأوا — بعد الرسول — بأن أبا بكر ثم عمر ثم عثمان أصلح للخلافة من علي ، ولذلك تركوا أمر الرسول (محمد) واتخذوا هؤلاء خلفاء للرسول .

ان مثل هذا النزاع موجود في كل دين وفي المسيحية بصورة خاصة لكني لا أعلم ما هو المبرر لبقاء هذا النزاع ، فقد مات (علي وعمر) وعلى المسلمين — (ان كانوا عقلاء) — ان يفكروا في هذا اليوم لا في الماضي السحيق .

ذات مرة ذكرت لبعض رؤسائي في الوزارة اختلاف السنة والشيعة وقلت له : انهم لو كانوا يفهمون الحياة لتركوا النزاع ووحدوا كلمتهم ، فنهرني الرئيس قائلاً : الواجب عليك ان تزيد الشقة لا ان تحاول جمع كلمة المسلمين .

وبهذه المناسبة ان السكرتير قال لي في إحدى الجلسات

التي اجتمعت معه قبل سفرتي إلى (العراق) : إعلم يا (همفر) أن هناك نزاعات طبيعية بين البشر منذ أن خلق الله (هابيل وقابيل) وستبقى هذه النزاعات إلى أن يعود المسيح .

١ — فمن نزاعات لونية .

٢ — ومن نزاعات قبلية .

٣ — ومن نزاعات إقليمية .

٤ — ومن نزاعات قومية .

٥ — ومن نزاعات دينية .

ومهمتك في هذه السفرة ان تتعرف على هذه النزاعات بين المسلمين وتعرف البركان المستعد للانفجار منها ، وتزود الوزارة بالمعلومات الدقيقة حول ذلك وان تمكنت من تفجير النزاع كنت في قمة الخدمة لبريطانيا العظمى .

فإننا نحن البريطانيين لا يمكننا العيش في الرفاه إلا بإلقاء الفتن والنزاع في كافة المستعمرات ، كما اننا لا يمكننا تحطيم السلطان العثماني إلا بإلقاء الفتن بين رعاياها ، وإلا فكيف تتمكن أمة قليلة العدد من ان تسيطر على أمة كبيرة العدد فاجتهد بكل قواك ان تجد الثغرة وان تدخل من الثغرة ، وليكن على علمك ان (سلطة الترك) و (سلطة الفرس)

قد ضعفتا فليس عليك إلا ان يثير الشعوب ضد حكامها ، كما ثارت الثوار في كل التاريخ ضد الحكام ، فإذا انشقت كلمتهم وتفرّقت قواهم ضمنّا استعمارهم من أسهل طريق .

٤

لما وصلت إلى البصرة ذهبت لتوّي إلى أحد المساجد وكان المسجد لعالم من أهل السنة عربي الأصل واسمه (الشيخ عمر الطائي) فتعرفت عليه وتلاطفت معه ، لكن الرجل شك بي من أول لحظة وأخذ يحقق من أصلي ونسبي وسائر خصوصياتي ، وأظن أن لوني ولهجتي هما قادا الشيخ إلى الشك لكني تمكنت من الخروج عن المأزق بأني من أهالي (اغدير) في (تركيا) واني تلميذ (الشيخ أحمد) في الآستانة ، وكنت نجاراً في محل (خالد) ... وإلى آخر ما هنالك من المعلومات التي حصلتها مدة اقامتي في (تركيا) وتكلمت جملاً باللغة التركية ، وانتبهت أن الشيخ أشار بعينه إلى أحد الحاضرين مستفسراً منه هل اني أتكلم التركية صحيحاً أم لا ؟ وأشار المسؤول عنه بعينه بالإيجاب وفرحت إذ تمكنت من جلب قلب الشيخ ، لكن ظني كان سراباً خادعاً ، فقد علمت بعد أيام أن الشيخ ينظر إليّ بنظر الريبة ، ويظنني جاسوساً لتركيا ؛ حيث

تبين لي فيما بعد أن الشيخ على خلاف مع (الوالي) المعين من قبل السلطان وان بينهما تبادل الاتهام وسوء الظن .

وعلى كل فلم أجد بداً من أن انسحب عن مسجد (الشيخ عمر) إلى (خان) كان محل الغرباء والمسافرين ، وقد استأجرت غرفة في الخان ، وكان صاحب الخان رجلاً أحمق يسلب راحتي كل صباح ، فقد كان يأتي أول الفجر إلى باب الغرفة ويطرقه بعنف لاقوم لصلاة الصبح ، وكنت أنا مجبوراً لمسايرته فكنت أقوم وأصلي صلاة الصبح ، ثم يأمرني بقراءة القرآن إلى طلوع الشمس ولما قلت له أن قراءة القرآن ليست واجبة فلماذا هذا الإصرار قال : بأن من ينام في هذا الوقت يجلب الفقر والنكبة للخان ولأهل الخان وحيث لم يكن لي بد من اجابته إذ هددني بالطرد ان لم أعمل بما يقول صرت مجبوراً على أن أصلي أول الآذان ثم أتلو القرآن أكثر من ساعة كل يوم .

ولم تكن المشكلة لتنتهي إلى هذا الحد ، فلقد جاءني صاحب الخان ـ واسمه (مرشد أفندم) ـ ذات يوم وقال : انك منذ أن استأجرت مني الغرفة ابتليت أنا بالمشاكل ولا أراها إلا من طالعك وقد فكرت في أن سبب ذلك أنك أعزب والعزب شؤم ، فإما أن تتزوج واما أن تخرج من الخان ، قلت أني لا أملك المال لكي أتزوج (وخشيت أن أقول له انني عنين حيث لم أكن استبعد أن يريد تجربة عورتي

هل أصدق أم لا ؟ إذا اعتذرت بهذا العذر فإن (مرشد أفندم كان من هذا الطراز) .

قال لي (الأفندم) يا ضعيف الإيمان ألم تقرأ قول الله تعالى (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) ووقعت في حيرة شديدة من أمري ماذا أفعل ؟ وبماذا أجيبه ؟ وأخيراً قلت له : حسناً كيف أتزوج بلا مال ؟ وهل أنت مستعد أن تقرضني المال الكافي أو أن تجد لي زوجة بلا مهر ؟

فكر (الأفندم) قليلاً ثم رفع رأسه ليقول : أنني لا أفهم كلامك وأخيرك بين أن تتزوج إلى أول شهر رجب المرجب أو أن تخرج من الخان .

وكان لم يبق إلى أول شهر رجب إلا خمسة وعشرون يوماً حيث كنا في الخامس من شهر جمادى الثانية .

وبالمناسبة فإن أسماء الأشهر الإسلامية بهذا التسلسل (محرم ، صفر ، ربيع الأول ، ربيع الثاني ، جمادى الأولى ، جمادى الثانية ، رجب ، شعبان ، رمضان ، شوال ، ذو القعدة ، ذو الحجة) وأشهرهم حسب رؤية الهلال ولا تزيد أيامها عن (٣٠) يوماً ، ولا تنقص عن (٢٩) يوماً .

وأخيراً رضخت لأمر (الأفندم) ووجدت مكاناً عند

(نجار) تعاقدت معه أن أعمل كعامل عنده بأجرة زهيدة ويكون أكلي ونومي أيضاً عنده ، وقبل أن ينتهي الشهر خرجت من الخان لألقي رحلي في دكان (النجار) وكان رجــلاً شهماً شريفاً عاملني كأحد أولاده وكان اسمــه (عبد الرضا) وكان شيعياً فارسياً من أهالي (خراسان) . وقــد انتهزت فرصة وجودي عنده أن أتعــلم منه اللغة الفارسية ؛ وكان الشيعة العجم يجتمعون عنده كل عصر ويتكلمون بكل أقسام الكلام من سياسة إلى اقتصاد وكانوا يتهجمون على حكومتهم كثيراً كما يتهجمون على الخليفــة في (الآستانة) أما إذا جاء (زبون) لا يعرفونه انقطعوا عن الكلام فوراً وأخذوا يتكلمون في قضاياهم الشخصية .

واني لا أعلم كيف وثقوا بي هذه الثقة ، لكني علمت أخيراً أنهم ظنوا أني من أهالي (اذربايجان) حيث علموا أني أعرف اللغة التركية وساعدهم على هــذا الظن لوني المائل الى البياض، اللون الغالب على أهالي (اذربايجان) .

وهنا على هذا الحال كان تعرفت على شاب كان يتردد على هذا الدكان يعرف اللغات الثلاث التركيــة والفارسية والعربيــة كان في زي طلبة العلوم الدينيــة وكان يسمي بـ (محمد بن عبد الوهاب) وكان شاباً طموحاً للغايــة عصبي المزاج ، ناقماً على الحكومة العثمانية ، أما حكومــة فارس فلم يكن له شأن بها ، وكان سبب صداقته مــع

صاحب المحل (عبد الرضا) ان الاثنين كانا ناقمين على الخليفة واني لا أعلم من أين كان هذا الشاب يعرف اللغة الفارسية مع أنه كان من أهل السنة وكيف صادق مــع (عبد الرضا الشيعي) ؟ إلا أن كلا الأمــرين لم يكن غريباً ففي البصرة يلتقي السني بالشيعي وكأنهما أخوة كما يعرف كثير من القاطنين في البصرة اللغتين الفارسية والعربية ، وأن كثيراً منهم يعرف أيضاً اللغة التركية .

كان (محمد عبد الوهاب) شاباً متحرراً بكــل معنى الكلمة لا يتعصب ضد الشيعة ـ كما كان هو الحال عند غالب أهل السنة حيث يتعصبون ضد الشيعة حتى أن جماعة من مشايـخ أهل السنة يكفّرون الشيعة ويقولون أنهــم ليسوا مسلمين ـ كما أنه لم يكن يرى أي وزن لاتباع المذاهب الأربعة المتداولة بين أهل السنة ويقول : انها ما أنزل الله بها من سلطان .

وقصة المذاهب الأربعــة هي : أن السنة من المسلمين بعد أكثر من قرن من موت نبيهم نبغ فيهم أربعة علماء هم (أبو حنيفة) و (أحمد بن حنبل) و (مالك) و (محمد بن ادريس) فألزمهم بعض الخلفاء بأن يقلدوا أحد هؤلاء الأربعة وأنه ليس لعالم من العلماء أن يجتهد في القرآن وسنة الرسول وهذا في الحقيقة كان غلقــاً لباب فهمهم وإلى هذا التحريم للاجتهاد يعزى جمود المسلمين ،

وقد انتهزت الشيعة هذه الفرصة لنشر مذهبهم على أوسع نطاق ، حتى أنه بعد أن كان عدد الشيعة لا يبلغ عشر عدد السنة أخذ عددهم في ازدياد فأصبح عددهم بعدد أهل السنة ، ومن الطبيعي أن يكون كذلك فإن الاجتهاد تطوير في فقه الإسلام وتجديد لفهم القرآن والسنة على ما يتطلبه حاجات الزمان كالسلاح المتطور ، بخلاف حصر المذهب في طريقة خاصة وغلق باب الفهم وسدّ السمع عن نداء حاجات الزمان فإنه كالسلاح البالي ، وإذا كان لك سلاح بال ولعدوك سلاح متطور لا بد وان يغلب عدوك عليك إن عاجلاً أو آجلاً ، واني أظن أنه سيأتي يوم قريب يفتح عقلاء أهل السنة باب الاجتهاد وإلا فإني أبشر أهل السنة بأنه لا تمضي قرون إلا وتكون السنة أقلية وتكون الشيعة أكثرية .

وكان الشاب الطموح (محمد) يقلد فهم نفسه في فهم القرآن والسنة ، ويضرب بآراء المشايخ ، لا مشايخ زمانه والمذاهب الأربعة فحسب بل بآراء أبي بكر وعمر أيضاً عرض الحائط إذا فهم هو من الكتاب على خلاف ما فهموه ، وكان يقول ، ان الرسول قال اني مخلّف فيكم الكتاب والسنة ولم يقل اني مخلف فيكم الكتاب والسنة والصحابة والمذاهب ، ولذا فالواجب اتباع الكتاب والسنة مهما كانت آراء المذاهب والصحابة والمشايخ مخالفة لذلك

وقد جرى بينه وبين أحد علماء فارس الذي كان ضيفاً عند (عبد الرضا) على مائدة الطعام التي ضيّفنا عليها (عبد الرضا) في داره ، وكان محمد ، والشيخ جواد القمي — وهذا هو اسم ذلك العالم الشيعي — وأنا وبعض أصدقاء صاحب البيت ، أقول جرى بين (محمد) و (الشيخ) حوار عنيف لم أحفظ كلّه وإنما حفظت مقتطفات عنه .

قال له (القمي) : إذا كنت أنت متحرراً ومجتهداً كما تدعي فلماذا لا تتبع علياً كالشيعة ؟ (قال محمد) : لأن علياً مثل عمر وغيره ليس قوله حجة وإنما الحجة الكتاب والسنة فقط (قال القمي) : ألم يقل الرسول (أنا مدينة العلم وعلي بابها) إذاً ففرق بين علي وبين باقي الصحابة (قال محمد) إذا كان قول علي حجة فلماذا لم يقل الرسول (كتاب الله وعلي بن أبي طالب) ؟ (قال القمي) بل قال حيث قال ﷺ (كتاب الله وعترتي أهل بيتي) (وعلي) سيد العترة فانكر (محمد) أن يكون الرسول قال ذلك ، لكن (الشيخ القمي) جاء إليه بادلة مقنعة حتى سكت (محمد) ولم يحر جواباً ، لكن (محمداً) اعترض عليه وقال : إذا قال الرسول (كتاب الله وعترتي) فأين سنة الرسول ؟ قال (القمي) سنة الرسول هي شرح لكتاب الله ، فلما قال الرسول

(كتاب الله وعترتي) أراد (كتاب الله بشرحه الذي هو السنة) (قال محمد) أليس كلام العترة أيضاً شرحاً لكتاب الله ؟ فما الحاجة إليهم ؟ (قال القمي) لما مات الرسول احتاج الأمة إلى شرح القرآن شرحاً يطابق حاجيات الزمن ، ولذا فالرسول أرجع الأمة إلى الكتاب كأصل ، وإلى العترة كشُرّاح له فيما يتجدد من حاجات الزمن .

لقد أعجبت أنا بهذا البحث أيما إعجاب ، ورأيت أن (محمداً) الشاب أمام (القمي) الشيخ الطاعن في السن كالعصفور في يد الصياد لا يتمكن تحركاً .

لقد وجدت في (محمد الوهاب) ضالــتي المنشودة ، فإن تحرره وطموحه وتبرمه من مشايخ عصره ورأيه المستقل الذي لا يهتم حتى بالخلفاء الأربعة أمام ما يفهمه هو من القرآن والسنة كان أكبر نقاط الضعف التي كنت أتمكن أن أتسلل منها إلى نفسه ، وأين هذا الشاب المغرور من ذلك الشيخ التركي الذي درست عنده في تركيا فإنه كان مثل السلف كالجبل لا يحركه شيء ، انــه كان إذا أراد أن يأتي باسم أبي حنيفة (وكان الشيخ حنفي المذهب) قام وتوضوء ثم ذكر اسم أبي حنيفة ، وإذا أراد أن يأخذ كتاب (البخارى) – وهو كتاب عظيم عند أهل السنة يقدسونه أيما تقديس – قام وتوضأ ثم أخذ الكتاب .

أما (الشيخ محمد الوهاب) فكان يزدري بأبي حنيفة

أيما ازدراء ، وكان يقول عن نفسه (اني أكثر فهماً من أبي حنيفة) وكان يقول (ان نصف كتـــاب البخارى باطل) .

لقد عقدت بيني وبين (محمد) أقوى الصلات والروابط ، وكنت أنفخ فيه باستمرار وأُبيّن له أنــه أكثر موهبة من (علي – وعمر) وأن الرسول لو كان حاضراً لاختارك خليفة له دونهما وكنت أقول له دائماً (آمل من تجديد الإسلام على يدك فإنك المنقذ الوحيد الذي يرجى به انتشال الاسلام من هذه السقطة) .

وقد قررت مع (محمد) أن نناقش في تفسير القرآن على ضوء أفكارنا الخاصة لا على ضوء فهم الصحابــة والمذاهب والمشايخ ، وكنا نقرء القرآن ونتكلم عن نقاط منها – كنت أقصد من ورائها إيقاع (محمد) في الفخ – وكان هو يسترسل في قبول آرائي ليظهر نفسه بمظهــر المتحرر وليجلب ثقتي أكثر فأكثر .

قلت له ذات مرة : الجهاد ليس واجبــاً ، قال : وكيف وقد قال الله (جاهــد الكفار) قلت الله يقول (جاهد الكفار والمنافقين) فإذا كان الجهاد واجباً فلماذا لم يجاهد الرسول المنافقين (قال) جاهدهم الرسول بلسانه (قلت) إذاً فجهاد الكفار أيضاً واجب باللسان (قال) لكن الرسول حارب الكفار (قلت) حرب الرسول كان

دفاعاً عن النفس حيث ان الكفار أرادوا قتل الرسول فدفعهم ، فهز (محمد) رأسه علامة الرضا .

وقلت له ذات مرة (متعة النساء جائزة) قال : كلا (قلت) فالله يقول (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن) (قال) عمر حرم المتعة قائلاً (متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أحرمهما وأعاقب عليهما) قلت : أنت تقول أنا أعلم من عمر فلماذا تتبع عمر ، ثم إذا قال عمر : إنه حرمها وان الرسول حللها فلماذا تترك رأي القرآن ورأي الرسول وتأخذ برأي عمر ؟ فسكت ، ولما وجدت سكوته دليل الاقتناع ، وقد أثرت فيه الغريزة الجنسية (ولم تكن له إذ ذاك زوجة) قلت له : ألا لنتحرر أنا وأنت ونتخذ (متعة) نستمتع بها ؟ فهز رأسه علامة الرضا ، وقد اغتنمت أنا هذا الرضا أكبر اغتنام ، وقررت موعداً لآتي إليه بامرأة ليتمتع بها ، وكان همي أن اكسر خوفه من مخالفة الناس ، لكنه اشترط عليّ أن يكون الأمر سراً بيني وبينه وأن لا أخبر المرأة باسمه ، فذهبت فوراً إلى بعض النساء المسيحيات اللاتي كن مجندات من قبل وزارة المستعمرات لافساد الشباب المسلم ، ونقلت لها كامل القصة ، وجعلت لها اسم (صفية) وفي يوم الموعد ذهبت بالشيخ محمد إلى دارها ، وكانت الدار خالية إلا منها فقرأنا أنا والشيخ صيغة العقد لمدة أسبوع ، وأمهرها الشيخ

نقداً ذهبياً ، فأخذت أنا من الخارج و (صفية) من الداخل نتراوح على توجيه الشيخ محمد عبد الوهاب .

وبعد ما أخذت (صفية) من محمد كل مأخذ ، وتذوق محمد حلاوة مخالفة أوامر الشريعة تحت غطاء الاجتهاد والاستقلال في الرأي والحرية ، وفي اليوم الثالث من (المتعة) أجريت مع (محمد) حواراً طويلاً عن (عدم تحريم الخمر) وكلما استدل بالآيات القرآنية والأحاديث زيفتها وقلت له أخيراً : لقد صح أن معاوية ويزيد وخلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس كانوا يتعاطون الخمر فهل من الممكن أن يكون كل أولئك على ضلال وأنت على صواب ؟ إنهم لا شك كانوا أفهم لكتاب الله وسنة الرسول مما يدل على أنهم لم يفهموا التحريم وإنما فهموا الكراهة والاعافة ، وفي الأسفار المقدسة لليهود والنصارى إباحة الخمر ، فهل يعقل أن يكون الخمر حراماً في دين وحلالاً في دين ، والأديان كلها من عند إله واحد ؟ ثم ان الرواة رووا ان عمر شرب الخمر حتى نزلت الآية (فهل أنتم منتهون) ولو كانت الخمرة حراماً لعاقبه الرسول ، فعدم عقاب الرسول دليل الحلية .

اخذ يسمعني (محمد) بكل قلبه ، ثم تنهد وقال : بل تثبت في بعض الأخبار ان عمر كان يكسر الخمر بالماء ويشربها ، ويقول ان سكرها حرام ، لا ، اذا لم تكن تسكر ،

ثم أردفه الشيخ قائلاً (وكان عمر صحيح الفهم في ذلك) لأن القرآن يقول (إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) فإذا لم تسكر الخمر لم تفعل هذه الأمور التي ذكرت في الآية وعليه فلا نهي عن الخمر اذا لم تكن مسكرة .

اخبرت (صفية) بما جرى ، وأكدت عليها ان يسقى الشيخ في هذه المرة خمرة مغلظة ففعلت وأخبرتني بعد ذلك أن الشيخ شرب حتى الثمالة وعربد وجامعها عدة مرات في تلك الليلة وقد رأيت أنا آثار الضعف والنحول عليه غداة تلك الليلة ، وهكذا استوليت انا وصفية على الشيخ استيلاءاً كاملاً .

ويا لها من روعة تلك الكلمة الذهبية التي قالها لي وزير المستعمرات حين ودعته (انا استرجعنا اسبانيا من الكفار (يقصد المسلمين) بالخمر والبغاء ، فلنحاول ان نسترجع سائر بلادنا بهاتين القوتين العظيمتين) ...

ذات مرة تكلمت مع الشيخ عن (الصوم) وقلت له : إن القرآن يقول (وان تصوموا خير لكم) ولم يقل انه واجب عليكم ، فالصوم بنظر الإسلام مندوب وليس بواجب ، لكنه قاوم الفكرة وقال (يا محمد تريد ان تخرجني من ديني) قلت له : يا وهاب إن الدين هو صفاء القلب وسلامة الروح وعدم الاعتداء على الآخرين ، ألم يقل النبي (الدين الحب) ؟

ولم يقل الله في القرآن الحكيم (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ؟ فإذا حصل للإنسان اليقين بالله وباليوم الآخر ، وكان طيب القلب نظيف العمل كان من أفضل الناس لكنه هز رأسه علامة للنفي وعدم الارتياح .

ومرة اخرى قلت له : (الصلاة ليست واجبة) قال : وكيف ؟ قلت لأن في القرآن يقول الله (وأقم الصلاة لذكري) فالمقصود من الصلاة ذكر الله تعالى ، فلك ان تذكر الله تعالى عوضاً عن الصلاة (قال) وهاب : نعم سمعت ان بعض العلماء كانوا يذكرون الله تعالى في اوقات الصلاة عوضاً عن الصلاة ، ففرحت لكلامه أيما فرح ، واخذت انفخ في هذا الرأي حتى ظننت أني استوليت على لبّه ، وبعد ذلك وجدته لا يهتم بأمر الصلاة احياناً يصلي وأحياناً لا يصلي ، خصوصاً في الصباح فإنه كان يترك الصلاة غالباً ، حيث كنت اسهر معه الى بعد منتصف الليل غالباً فكان منهوك القوى عند الصباح فلا يقوم للصلاة .

وهكذا اخذت اسحب رداء الإيمان عن عاتق الشيخ شيئاً فشيئاً وأردت ذات مرة ان اناقش حول (الرسول) لكنه صمد في وجهي صموداً كبيراً ، وقال لي : ان تكلمت بعد ذلك حول هذا الموضوع قطعت علاقتي بك وخشيت ان ينهار كل ما بنيته ، من أجل ذلك أحجمت عن الكلام حول الرسول .

لكن اخذت في إذكاء روحه في ان يكوّن لنفسه طريقاً ثالثاً غير السنة وغير الشيعة وكان يستجيب لهذا الإيحاء كل استجابة لأنه كان يملأ غروره وتحرره .

وبفضل (صفية) التي دامت علاقتها معه بعد الأسبوع ايضاً في (متعات جديدة) تمكنا في الاخذ بقيادة (الشيخ) كاملاً .

وذات مرة قلت للشيخ : هل صحيح ان النبي آخى بين اصحابه ؟ قال : نعم : (قلت) هل أحكام الإسلام وقتية ام دائمة ؟ (قال) بل دائمة لأن الرسول يقول (حلال محمد حلال الى يوم القيامة وحرام محمد حرام الى يوم القيامة) (قلت) اذن فلنواخي انا وأنت ، فتواخينا ، ومنذ ذلك الحين كنت أتبعه في كل سفر وحضر ، وكنت اهتم لأن تأتي الشجرة التي غرستها ثمارها التي صرفت لأجلها أثمن اوقات شبابي .

وكنت اكتب بالنتائج إلى الوزارة كل شهر مرة ، كما كانت عادتي منذ ان خرجت من لندن — وكان الجواب يأتيني بالتشجيع الكافي ، فكنت انا ومحمد نسير في الطريق الذي رسمناه بخطى سريعة ولم اكن افارقه لا في السفر ولا في الحضر ، وكانت مهمتي ان اربي فيه روح الاستقلال والحرية وحالة التشكيك وكنت ابشره دائماً بمستقبل زاهر وأمدح فيه روحه الوقادة : ونفسه النقادة ولفقت له ذات مرة (حلماً) وقلت له : (إني رأيت البارحة في المنام رسول الله — ووصفته

بما كنت سمعته من خطباء المنابر — جالساً على كرسي وحوله جماعة من العلماء لم أعرف أحداً منهم وإذا بي اراك قد دخلت ووجهك يشرق نوراً فلما وصلت الى الرسول قام الرسول إجلالاً لك وقبّل بين عينيك وقال لك (يا محمد) انت سميّي ووارث علمي والقائم مقامي في ادارة شؤون الدين والدنيا (فقلت أنت) يا رسول الله اني اخاف ان أظهر علمي على الناس ؟ قال رسول الله لك : (لا تخف انك انت الأعلى) .

فلما سمع محمد بالمنام كاد ان يطير فرحاً ، وسئلني مكرراً هل انت صادق في رؤياك ؟ وكلما سئل أجبته بالإيجاب حتى اطمئن ، وأظن انه صمم من ذلك اليوم على اظهار امره .

٥

في هذه الأيام جائتني الأوامر من لندن على ان أتوجه الى (كربلاء) و (النجف) مهوى قلوب المسلمين الشيعة ومركز علمهم وروحانيتهم ولهذين البلدين قصة طويلة .

أما قصة (النجف) فانها تبتدء من يوم دفن فيها (علي) رابع الخلفاء عند أهل السنة وأول الخلفاء عند أهل الشيعة ، فإن مدينة تبعد عن النجف قدر (فرسخ) — اي مسيرة ساعة بالرجل — تسمى بـ (الكوفة) كانت مقر خلافة علي ، فلما قُتل علي دفنه ولداه (الحسن والحسين) خارج الكوفة في

هذا المكان الذي يسمى الآن (بالنجف) ثم اخذت نجف تزدهر بينما اخذت الكوفة في الخراب ، واجتمع في النجف عدد من علماء الشيعة وصارت فيها بيوت وأسواق ومدارس وهي الآن مركز علماء الشيعة والخليفة في الاستانة يهابهم ويحترم جانبهم لعدة امور :

١ – ان حكومة الشيعة في فارس تساندهم واذا مس الخليفة كرامتهم توترت العلاقات بين الحكومتين واحياناً تصل الى حد الحرب .

٢ – ان عشائر كثيرة حول (النجف) تساند العلماء ، وهي مسلحة ، وسلاحهم وان كان ليس على المستوى الرفيع ولا تنظيم لهم إلا التنظيم العشائري ، لكن يعني منازلة الخلافة للعلماء ان تدخل مع تلك العشائر في معارك دامية ، وحيث لا ضرورة قصوى تلجئ الحكومة الى كبح جماح العلماء تذرهم وشأنهم

٣ – ان اولئك العلماء مراجع لكل المسلمين الشيعة في العالم من (هند) (وافريقيا) وغيرهما فإذا مست الحكومة كرامتهم هاجت الشيعة في كل مكان .

(وأما قصة كربلاء) فانها تبتدء منذ قُتل فيها سبط رسول الله (الحسين بن علي ، وابن فاطمة بنت الرسول) فقد دعا أهل العراق الحسين ليأتيهم من (المدينة – الحجاز) ليتخذوه خليفة ، لكنه لما وصل هو واهل بيته الى ارض

كربلاء – التي تبتعد عن الكوفة قرابة اثني عشر فرسخاً – قلب أهل العراق عليه الأمر ، وخرجوا لقتاله بأمر من يزيد بن معاوية – الخليفة الأموي القاطن في الشام – فقاتل الحسين ابن علي مع أهل بيته الجيش الأموي الكثيف العدد قتال الأبطال حتى قتل هو وأهل بيته ، وقد أبدى الجيش الأموي في هذه المعركة كل نذالة وسفالة ، ومنذ ذلك الحين اتخذ أهل الشيعة هذا المكان مركزاً روحياً يأتونه من كل مكان ، ويزدحمون فيه ازدحاماً ليس عندنا في الروحانية المسيحية له مثيل .

هذه المدينة – كربلاء – ايضاً مدينة شيعية وفيها علماء الشيعة ومدارسهم ، وهي والنجف تسند احداها الأخرى .

ولما وصلتني الأوامر للذهاب إلى هاتين المدينتين قطعت الطريق من البصرة إلى (بغداد) مركز الوالي المنصوب من قبل الخليفة في الاستانة ومن هناك ذهبت الى (الحلة) وهي مدينة تقع على (شط الفرات) .

و (الفرات ودجلة) نهران كبيران تخترقان العراق من تركيا ويصبان في البحر ، ويعود الفضل في زراعة العراق ورفاهها الى هذين النهرين .

وقد اقترحت – انا – على وزارة المستعمرات بعد عودتي الى لندن ان تخطط لوضع اليد على مصب هذين النهرين لتتمكن من إخضاع العراق في حالة الطوارئ ، فانه ان انقطع الماء

عن العراق لا بد وان تخضع اهلها لمطاليب الوزارة .

ومن (الحلة) ذهبت الى (النجف) في زي تاجر من تجار (آذربايجان) وائتلفت برجال الدين واخذت اراودهم وحضرت مجالس دروسهم واعجبت بهم ايما اعجاب لصفاء روحهم ، وغزارة علمهم ، وشدة تقواهم لكن وجدتهم قد مر عليهم الزمن ولا يفكرون في تجديد امرهم .

١ ـ فقد كانوا على شدة عدائهم للسلطة في تركيا (لا لأنهم شيعة وانها سنيّة) بل لضغط السلطة على حرياتهم ضغطاً كبيراً لا يفكرون في منازلتها وفي التخلص منها .

٢ ـ كما انهم كانوا قد حصروا أنفسهم في علوم الدين امثال قساوستنا في عصر الجمود ، وقد تركوا علوم الدنيـا إلا بمقدار قليل لا ينفع .

٣ ـ وكذلك وجدتهم لا يفكرون في ما يجري حولهم في العالم

وقد قلت في نفسي مساكين هؤلاء فانهم في سبات حيث الدنيا في يقظة ، وسيأتي يوم يجرفهم السيل ، وقد حاولت مكرراً استنهاضهم لمحاربة الخلافة فلم اجد فيهم اذناً صاغية ، وكان بعضهم يسخر مني وكأني أقول له اهدم الكون ، فقد كانوا ينظرون إلى الخلافة كأنها مارد لا يمكن ان يقصر إلا إذا ظهر (ولي الأمر عجل الله فرجه) .

وولي الأمر عندهم هو امامهـم الثاني عشر من ذرية الرسول غاب عن الأبصار عام (٢٥٥) هجري اي بعد ظهور رسولهم ، (٢٥٥) سنة وهو حي الى اليوم ثم يظهر للعالم ليملأه عدلاً بعد ان ملئ جوراً .

واني اتعجب كيف يعتقد اناس افاضل بهذه العقيدة الخرافية انها مثل عقيدة الخرافيين من المسيحيين بأنه سيعود المسيح من عليائه ليملأ الدنيا عدلاً .

قلت لأحدهم : أليس الواجب ان تغيروا الظلم كما غير رسول الإسلام ؟ (قال) الرسول كان يسنده الله ولذا تمكن (قلت) في القرآن الحكيم (ان تنصروا الله ينصركم) فانتم ايضاً يسندكم الله ان قمتم بالسيف في وجه طغيان الخليفة (قال) انت تاجر وهذه مواضيع علمية يقصر فهمك عن ملاحقتها .

(أما مرقد) الامام أمير المؤمنين ـ كما يسمّونه ـ فهو مرقد جميل مزخرف بأنواع الزخرفة الجميلة ، وله حرم جميل ، وعليه قبة ذهبية كبيرة ، ومنارتان ضخمتان ذهبيتان ، وأهل الشيعة يدخلونه كل يوم زرافات زرافات ويقيمون فيه الصلوات بهيئة اجتماعية ، ويقبّلون ضريحه الذي ألحد فيه وينحني كل واحد إلى عتبته يقبلها ثم يسلّم على الامام ، و يستأذن في الدخول فيدخل ، ويحيط بالحرم صحن كبير فيه غرف كثيرة هي مأوى رجال الدين والزوار .

وفي كربلاء حرمان على طراز حرم (علي) الأول : حرم (الحسين) والثاني حرم (العباس) وهو اخ للحسين قتل معـــه في كربلاء . وتفعل الشيعة في كربلاء مثل ما تفعل في النجف ، وكربلاء احسن مناخاً من النجف حيث يحيط بالبلد طوق كبير وكثيف من البساتين وفيهـــا أنهار جارية .

في سفرتي إلى (العراق) وجدت ما يثلج الصدر ، فقد كانت الأوضاع العامة والخاصة تنذر بنهاية الحكم ، فالوالي من قبل الآستانة رجل مستبد جاهل يحكم بما يشاء وكأن الناس عبيد وإماء له ، والشعب بصورة عامة غير راض عنه ، أما أهل الشيعة فلأن الحكومة تضغط على حرياتهم ولا تعير لهم أهمية وأما أهل السنة فلأنهم يأنفون ان يحكمهم رجل تركي وفيهم الأشراف والسادة من آل الرسول الذين يرون انهم أحق بالحكم من الوالي التركي .

والبلاد خراب يعيش الناس فيها في قذارة ووساخـــة وخرائب .

والطرق غير مأمونة فعصابات اللصوص يترصدون القوافل فينقضوا عليهم اذا لم تكن معهم مفرزة من الشرطة ، ولذا فإن القوافل لا تتحرك الا بعد ان تصحبهم الحكومة بالشرطة المدججين بالسلاح .

والمخاصمات بين العشائر قائمة على قدم وساق : فلا يمر

يوم إلا وعشيرة تنقض على عشيرة أخرى ويكون بينهما القتل والسلب .

والجهل والأمية متفشية بصورة مدهشة تذكرني بأيام استيلاء الكنيسة على بلادنا ، فباستثناء طبقة رجال الدين في النجف وكربلاء وقلة مرتبطة بهم لا تجد قارئاً ولا كاتباً واحداً في كل ألف انسان .

والاقتصاد منهار فيعيش الناس في فاقة شديدة وفقر مدقع .

والنظام غير مستتب فالفوضى هي التي تسود كل شيء .

وتنظر الحكومة والناس كل إلى الآخر بنظر الريبة والشك ولذا لا تعاون بينهما .

ورجال الدين غارقون في الامور الدينية عازفين عن الحياة الدنيا .

والصحارى أغلبها يباب لا زراعة فيها ، ويمر النهران (دجلة والفرات) عبر أراضيهم وكأنهما ضيف عليهم حتى يصبان في البحر .

والى غير ذلك من الأوضاع المتردية الفاسدة التي تنتظر الانقاذ .

بقيت في كربلاء والنجف مدة اربعة اشهر وقد مرضت في النجف مرضاً حاداً حتى يئست من نفسي ، ودام معي المرض مدة ثلاثة أسابيع ، وراجعت طبيباً كان هناك ، ووصف

لي بعض الأدوية فلمّا شربتها أحسست بتحسن صحتي ، وكان الفصل صيفاً شديد الحر فكنت اعتكفت ايام مرضي في مكان تحت الأرض يسمى : (السرداب) وكان صاحب البيت الذي استأجرت منه غرفة يباشر في هذه المدة مهمة صنع الطعام والدواء لي لقاء اجر بسيط ، وكان يعتبر خدمتي افضل قربة إلى الله حيث انه يخدم زائراً (لأمير المؤمنين عليه السلام) وكان اكلي فقط — في الأيام الأولى — ماء طير يسمونه (الدجاجة ثم منح لي الطبيب السماح بأكل لحمه ايضاً ، وفي الأسبوع الثالث اباح لي ان آكل (الأرز) بالدجاج : وبعد ان ابللت من المرض ذهبت الى بغداد وهناك كتبت تقريراً مفصلاً عن مشاهداتي في النجف وكربلاء والحلة وبغداد والطريق في تقرير مسهب استوعب مائة صفحة ، وسلمت التقرير إلى ممثل الوزارة في بغداد ، وبقيت بانتظار أوامر الوزارة هل أبقى في العراق او اعود إلى لندن .

وقد كنت شديد الشوق للعودة إلى لندن لأن الغربة طالت والحنين إلى البلد والأهل قد اشتد ، خصوصاً وقد كنت شائقاً كثيراً الى لقاء ولدي (رسبوتين) الذي فتح العين الى النور في غيابي ولذا فاني قد طلبت من الوزارة مع التقرير الذي بعثته اليها ان يسمحوا لي بالعودة ولو لاجل محدود ، لاروي لهم انطباعاتي شفوياً ولكي آخذ قسماً من الراحة والاستجمام فقد طال سفري الى العراق مدة ثلاث سنوات .

قال لي ممثل الوزارة في بغداد ان لا اتردد عليه وان استأجر غرفة في أحد الخانات المطلة على نهر (دجلة) لكيلا تثار حولي شبهة وقال انه (أي الممثل) سوف يخبرني بالجواب حينما يأتي البريد من لندن ، وكنت في ايام إقامتي في بغداد رأيت البون الشاسع بين عاصمة الخلافة وبين بغداد ، وكيف أن الأتراك يتعمدون اذلال أهالي العراق لأنهم عرب لا يؤمن مكرهم .

وقد كنت ايام مغادرتي البصرة إلى كربلاء والنجف قلقاً أشد القلق على مصير (الشيخ محمد عبد الوهاب) حيث كنت لا آمن الانحراف عن الطريقة التي رسمتها له : فإنه كان شديد التلون ، عصبي المزاج ، فكنت أخشى ان تنهار كل آمالي التي بنيتها عليه .

انه حين اردت ان افارقه كان يروم الذهاب إلى الاستانة للتطلع عليها لكني منعته عن ذلك أشد المنع وقلت له اخاف ان تقول هناك شيئاً ما يوجب ان يكفروك ومصيرك حينذاك القتل ، قلت له هكذا ، ولكن كان في نفسي شيء آخر وهو ان يلتقي ببعض العلماء هناك فيقوّم معوّجه ويرجعه إلى طريق أهل السنة فينهار كل آمالي .

ولما كان الشيخ محمد لا يريد الإقامة في البصرة أشرت

عليه بأن يذهب إلى (أصفهان وشيراز) فإن هاتين المدينتين جميلتين ، وأهاليها من اهل الشيعة ومن المستبعد ان تؤثر الشيعة في الشيخ ، وقد كنت بذلك أمنت انحرافه .

وعند مفارقتي الشيخ قلت له : هل انك تؤمن بالتقية ؟ قال نعم ، فقد اتقى أحد أصحاب الرسول (وأظنه قال انه مقداد) حين اضطهده المشركون ، وقتلوا أباه وامه فأظهر الشرك ، وأقرّه على ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

قلت له : اذن اتق من الشيعة ولا تظهر لهم انك من أهل السنة لئلا تقع عليك كارثة ، وتمتّع ببلادهم وعلمائهم ، وتعرّف على عاداتهم وتقاليدهم فإنه ينفعك أشد النفع في مستقبل حياتك .

وقد زودت الشيخ حين اردت مفارقته بكمية من المال بعنوان (الزكاة) وهي ضريبة إسلامية تؤخذ لصرفها في مصالح المسلمين ، كما وقد اشتريت له (دابة) للركوب بعنوان الهدية وفارقته .

ومنذ مفارقتي له لم اعلم مصيره ، وكنت قلقاً لذلك أشد القلق وقد تبانينا ان نرجع كلانا إلى البصرة ، وإذا رجع أحدنا ولم يجد صاحبه يدع مكتوباً عند (عبد الرضا) يخبر فيه صديقه عن حاله .

٦

بعد مدة من مكوثي في (بغداد) أتتني الأوامر بضرورة التوجه الى (لندن) فوراً ، فتوجهت اليها ، وهناك اجتمع بي السكرتير وبعض اعضاء الوزارة وأخبرتهم بمشاهداتي وما عملته في سفرتي الطويلة ، ففرحوا بمعلوماتي عن (العراق) أشد الفرح ، وأبدوا ارتياحهم لها ، وكان قد سبق اليهم تقريري عن تفاصيل الرحلة ، وظهر لي فيما بعد ان (صفية) قرينة (الشيخ محمد عبد الوهاب) في البصرة ايضاً كانت قد كتبت اليهم بما يطابق تقاريري ، كما تبين ايضاً أن الوزارة كانت تراقبني في كل السفرة وان المراقبين كتبوا عني تقارير مرضية ، ومصدقة لما كتبت في تقريري ولما قلت عند مقابلة السكرتير .

ضرب السكرتير لي موعداً للاجتماع بنفس الوزير ولما زرته في مكتبه رحب بي ترحيباً حاراً يختلف عن ترحيبه السابق عندما عدت من (الاستانة) الى لندن وظهر لي انني اشغلت من قلبه مكاناً لائقاً .

وقد أبدى الوزير ارتياحه الكبير من السيطرة على (محمد) وقال : انه ضالة الوزارة ، وأكّد عليّ مكرراً بأن اعاهده بكل انواع المعاهدة ، وقال انك لو لم تحصل في كل اتعابك إلا على (الشيخ) كان جديراً بكل تلكم الأتعاب . وحيث

أبديت قلقي على مصيره بعدي قال الوزير : اطمئن بأن (الشيخ) لا يزال على ما فارقته انت من الآراء والأفكار وقال الوزير : ان عملاء الوزارة اتصلوا به في (اصفهان) وانهم أخبروا الوزارة بأن الشيخ على ما كان ، لكن اسررت في نفسي : كيف اباح الشيخ بمخيلة سره إليهم ؟ وتهيبت ان اسئل الوزير عن ذلك ؛ ثم تبين لي فيما بعد حين التقيت (بالشيخ) ان انساناً يدعى (عبد الكريم) تتصل به في (اصفهان) وانه أخ (للشيخ محمد : يقصد انا) قال له عن تفاصيل اسراره عن الشيخ محمد ، وبذلك استطاع من النفوذ الى دخائل قلبه ؛ وقال (محمد الوهاب) ان (صفية) حقته في (اصفهان) وتنعم (بمتعة) اخرى لمدة شهرين ؛ وان (عبد الكريم) صاحبه الى (شيراز) حيث هيئ (لمحمد الوهاب) متعة اخرى اسمها (آسية) أجمل واكثر انوثة وعاطفة من (صفية) وانه قضى معها أسعد ساعات العمر . وتبين لي فيما بعد — ايضاً — : ان (عبد الكريم) اسم مستعار لأحد المسيحيين في (جلفاء) من نواحي (اصفهان) كان من عملاء الوزارة ، وان (آسية) من يهود (شيراز) وكانت ايضاً هي الاخرى من عملاء الوزارة ؛ وكان نتيجة سيطرتنا — نحن الأربعة — على (محمد الوهاب) انه طبخ كأفضل ما يمكن لما يرجى منه في المستقبل .

بعد شرح الأحوال للوزير بحضور السكرتير ، ونفرين آخرين من اعضاء الوزارة لم اعرفهما من ذي قبل ؛ قال لي الوزير : لقد استحققت أعلى أوسمة الوزارة حيث بلغت الدرجة الأولى في سلم العملاء المخلصين ؛ ثم أردف : ان السكرتير سوف يطلعك على بعض أسرار الدولة ينفعك في مهمتك .

ثم منحوا لي اجازة عشرة أيام لكي أنصرف إلى أهلي ، وخرجت من الوزارة ميمماً نحو أهلي ، وعشت مع ابني الصغير الذي كان يشبهني ، وينطق ببعض الكلمات ويمشي وكأنه قطعة روحي تمشي على الأرض ؛ في أسعد اللحظات ، وقد غمرني الفرح فوق حد الوصف ، وكاد ان يطير روحي حباً ، وتمتعت بالأهل والوطن ايما استمتاع ، كما زرت عمتي العجوز الطاعنة في السن التي كانت دائماً تغمرني بعطف ولطف ، ومن حسن الحظ اجتماعي بها هنا ؛ حيث إنها فارقت الحياة عندما كنت انا في السفرة الثالثة ؛ وقد ترك وفاتها في نفسي ألماً ولوعة وحسرة .

إنقضت الأيام العشرة وكأنها ساعة — وهكذا تنقضي الأيام السعيدة كالساعات بينما الأيام البائسة تنقضي وكأنها قرون — وتذكرت حينذاك الأيام التي كنت فيها مريضاً في العراق والنجف ؛ وكان اليوم الواحد منها عمر علي وكأنها سنة ؛ ولا تزال مرارة تلك الأيام تحت أسناني ؛ حتى ان

مجموع أيام سعادتي لم يترك عندي من السعادة ما تركته عندي أيام الشقاء من المرارة .

راجعت الوزارة لأتخذ الأوامر بشأن المستقبل ، وكان في استقبالي السكرتير بطلعته الوسيمة ، وثغره الباسم ، وطوله الفارع ، وصافحني مصافحة حارة لمست منها كل معاني الاخوة .

قال لي : لقد أمرني الوزير شخصياً ، كما خولتني اللجنة الخاصة بشؤن المستعمرات ان اطلعك على سرين هامين جداً وذلك لكي تستفيد منها في المستقبل ، ولا يطّلع على هذين السرين إلا قلائل من الذين يعتمد عليهم .

ثم أخذ بيدي وأدخلني احدى غرف الوزارة ، ورأيت فيها عجباً : فهناك مائدة مستديرة حولها عشرة رجال (احدهم) في زي السلطان العثماني وهو يتكلم التركية والانكليزية ، (والثاني) في زي شيخ الإسلام في الاستانة (والثالث) في زي الملك الفارسي ، (والرابع) في زي عالم البلاط الشيعي (والخامس) في زي مرجع التقليد لأهل الشيعة في النجف ، وهؤلاء الثلاثة يتكلمون باللغتين الفارسية والانكليزية . وعند كل واحد من هؤلاء الخمسة كاتب من الكتاب ليكتب ما يقول . كما انه هو بنفسه الطريق إلى احد الخمسة ليزوده بالمعلومات التي تجمعها العملاء حول هؤلاء الخمسة من (الاستانة ، وفارس ، والنجف) .

قال السكرتير : ان هؤلاء الخمسة يمثلون اولئك الأصليين صنعناهم على أمثلتهم لنرى كيف يفكر اولئك الخمسة : فإنا نزود هؤلاء بالمعلومات التي تصلنا من الاستانة وطهران والنجف ، وهؤلاء يجعلون من انفسهم بمنزلة اولئك الخمسة الأصلاء ، ثم يجيبوننا عن كل ما نسألهم ، وقد لاحظنا ان نتائج تفكير هؤلاء الخمسة تطابق سبعين في المائة تفكير اولئك الأصليين .

قال السكرتير : وان شئت جرب الامر فهاك قابلت عالم النجف ، قلت حسناً حيث كنت قد سئلت بعض المسائل عن مرجع التقليد في النجف . تقدمت الى (البدل) وقلت له : مولانا هل يجوز لنا نحن الشيعة ان نحارب الحكومة لأنها حكومة سنية شديدة التعصب ؟ تروّى (البدل) قليلاً وقال : لا يجوز لنا محاربتهم لأنهم سنة ، فإن المسلمين اخوة ، وانما يجوز لنا محاربتهم لأنهم يضطهدون الامة ، وذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يرفعوا ايديهم عن اضطهادنا وحينذاك نتركهم وشأنهم (قلت) مولانا ما رأيكم في نجاسة اليهودي والنصراني فهل هم انجاس ام لا ؟ قال (البدل) : نعم انهم انجاس يجب الاجتناب عنهم (قلت) ولم ؟ (قال) هذا من باب المقابلة بالمثل فانهم يروننا كفاراً ، وانهم يكذبون نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذلك نحن نقابلهم بالمثل (قلت له) مولانا اليست النظافة من الايمان فلماذا رأيت انا قذارة الصحن الشريف ، والشوارع والأزقة حتى اني

رأيت القذارة في المدارس العلمية ايضاً (قال) النظافة لا شك انها من الايمان ولكن ماذا نصنع بقلة المياه وعدم اهتمام الحكومة بالنظافة .

كانت المفاجآت في اجوبة (البدل) انها كلها كانت مطابقة لأجوبة العالم المرجع في النجف بدون زيادة او نقيصة ، لكن كانت إضافة جملة (وعدم اهتمام الحكومة بالنظافة) في الجواب الثالث زيادة من (البدل) حيث لم يذكرها الأصيل وقد دهشت اشد دهشة لهذه البدلية المطابقة للأصل ، فقد اجابني المرجع في النجف حيث سألته عن هذه الأسئلة بنفس هذه الأجوبة ، وكان (البدل) يتكلم باللغة الفارسية كما كان المرجع في النجف يتكلم باللغة الفارسية ايضاً .

قال لي السكرتير : ولو كنت واجهت الأربعة الأصلاء الآخرين وتكلمت معهم لكان لك ان تتكلم مع هؤلاء الأبدال لترى كيف ان هؤلاء الأبدال مثل اولئك الأصلاء (قلت) اني اعرف كيفية تفكير شيخ الإسلام لأن أستاذي (الشيخ احمد افندم) نقل لي جملة وافية عنه . قال لي السكرتير : تفضل وتكلم مع (البدل) عنه .

فتقدمت الى البدل وقلت له : افندم هل تجب طاعة الخليفة ؟ (قال) نعم يا ولدي مثل وجوب طاعة الله ورسوله (قلت له) افندم بأي دليل ؟ قال : الم تسمع قول الله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ؟ قلت :

افندم اذا كان الخليفة اولى الأمر فكيف يأمرنا الله بطاعة (يزيد) الذي أباح المدينة المنورة لجيشه وقتل الحسين سبط رسول الله ، وكيف يأمرنا الله بطاعة (الوليد) الذي كان يشرب الخمر (قال البدل) : يا ولدي ان (يزيد) كان امير المؤمنين من قبل الله تعالى وقد أخطأ في قتله الحسين وتاب ، وأما اباحته المدينة المنورة فقد كانت صحيحة لأنهم طغوا وبغوا وخلعوا الطاعة ، وأما الوليد فكان يشرب الممزوجة بالماء والتي لا توجب له السكر وذلك جائز في شريعة الإسلام .

لقد كنت سئلت هذه الأسئلة من (شيخي أحمد افندم) وكان جوابه تضمن الأجوبة باختلاف يسير .

قلت للسكرتير بعد هذه المقابلة : وما فائدة هذه التمثيلية قال إنّا نعرف كيف تفكر سلاطين وعلماء المسلمين سنة وشيعة ونضع الحلول المناسبة لمعاكستهم في القضايا السياسية والدينية (مثلاً) اذا عرفت ان عدوك يأتي من طرف المشرق كنت وضعت جنودك في ذلك الطرف لصده ، أما اذا لم تكن تعرف من اين يأتي العدو فقد تبعثر جنودك في كل اتجاه .. وكذلك إذا عرفت وجه إستدلال المسلم على مذهبه ودينه تمكنت ان تضع الأجوبة الجاهزة لرده فتكون تلك الأجوبة كافية لخلخلة عقيدة المسلمين .

ثم ناولني السكرتير كتاباً ضخماً من ألف صفحة فيه نتائج المناقشات والخطط التي جرت بين هؤلاء الخمسة الأصليين

والخمسة الأبدال في الشؤن العسكرية والمالية والثقافية والدينية، وحملت الكتاب معي إلى الدار وقرأته من أوله إلى آخره في ثلاثة أسابيع مدة إجازتي وأمرني بإرجاع الكتاب بعد المطالعة، وعند قرائتي الكتاب دهشت لما حواه من الرد ودقة المناقشات وكأنها واقعية فكانت مطابقة الأجوبة ــ حسب معلوماتي ــ اكثر من سبعين بالمائة وان كان السكرتير سبق وان قال لي أن الأجوبة الصائبة من التمثيلية زهاء سبعين بالمائة.

وقد ازددت وثوقاً بمقدرة حكومتي وعلمت يقيناً أن الامبراطورية العثمانية مشرفة على الزوال في أقل من قرن حسب ما قدره الكتاب.

قال السكرتير لي وهناك غرف اخرى فيها نظير هذه التمثيلية بالنسبة لسائر البلاد التي هي مستعمرة بأيدينا، أو ما تقصد الحكومة استعمارها فيما بعد.

قلت للسكرتير: من أين تحصلون على هؤلاء الأبدال بهذه الدقة والمقدرة؟ (قال) ان عملائنا في كافة البلاد يزودون بالمعلومات الكافية بصورة مستمرة وهؤلاء الأبدال اخصائيون في هذه الناحية، ومن الطبيعي أنك اذا حصلت على معلومات كافية خاصة كما يعلمها (فلان) يكون نوع تفكيرك واستنتاجاتك مثل تفكيره واستنتاجاته اذ تكون حينـذاك نسخة طبق الأصل منه.

قال السكرتير: وهذا هو السرّ الأول الذي أمرني الوزير ايقافك عليه.

وأما السر الثاني فسوف أطلعك عليه بعد شهر حيث أتممت هذا الكتاب (ويقصد الكتاب ذا الألف صفحة الذي تقدمت الاشارة اليه).

لقد طالعت الكتاب بدقة وامعان من الجلد وإلى الجلد، وظهرت لي آفاق جديدة من المعرفة بأوضاع المحمديين كما ظهرت لي كيفية تفكيرهم، وأنهم كيف متأخرون؟ وأن نقاط الضعف فيهم ما هي؟ كما ظهرت لي نقاط القوة في المسلمين وانــه كيف يلزم العمل لهدمها وتبديلها بنقاط الضعف.

١ ــ فمن نقاط الضعف فيهم: الاختلاف بين السنة والشيعة، والاختلاف بين الحكام والشعوب، والاختلاف بين حكومتي (الأتراك والفرس) والاختلاف بين العشائر، والاختلاف بين العلماء والحكومة.

٢ ــ ومن نقاط الضعف فيهم: الجهل والأمية التي تكاد تستوعب كل المسلمين إلا نادراً.

٣ ــ ومن نقاط الضعف فيهم: خمول الروح وذبول المعرفة وفقدان الوعي.

٤ ــ ومن نقاط الضعف فيهم: ترك الدنيا كلية والتعلق بالآخرة والعمل لها وحدها.

٥ ــ ومن نقاط الضعف فيهم : دكتاتورية الحكام والاستبداد الشامل .

٦ ــ ومن نقاط الضعف فيهم : عدم أمن الطرق وانقطاع المواصلات الا بقدر قليل .

٧ ــ ومن نقاط الضعف فيهم : تدهور الصحة العامة حتى ان (الطاعون) (والوباء) يجتاحان البلاد بصورة مستمرة تقريباً يجرفان عشرات الألوف في كل وجبة .

٨ ــ ومن نقاط الضعف فيهم : خراب البلاد وتسبب الصحارى وانسداد الأنهر وقلة المزارع .

٩ ــ ومن نقاط الضعف فيهم : الفوضى في كل شؤن الإدارة فلا نظام ولا مقاييس ولا موازين ولا قوانين ، فإنهم وان كانوا كثيري الاعتزاز بالقرآن إلا أن العمل بقوانينه يكاد يكون معدوماً .

١٠ ــ ومن نقاط الضعف فيهم تدهور الاقتصاد تدهوراً مشيناً فالفقر ضارب بأجرانه في كل مكان .

١١ ــ ومن نقاط الضعف فيهم : عدم وجود جيوش نظامية بمعنى الكلمة وعدم السلاح الكافي ، ورداءة الموجود منه .

١٢ ــ ومن نقاط الضعف فيهم : احتقار المرأة وهضم حقها .

١٣ ــ ومن نقاط الضعف فيهم : الوساخة والقذارة في الأسواق والشوارع والأجسام وكل مكان .

وقد كان الكتاب يذكر بعد كل نقطة ضعف ان قانون الإسلام بالعكس فاللازم ابقاء المسلمين في جهلهم حتى لا يتنبهوا إلى حقيقة دينهم ، فقد ذكر الكتاب أن الإسلام :

١ ــ يأمرهم بالاتحاد والألفة ونبذ الفوارق ففي القرآن (واعتصموا بحبل الله جميعاً) .

٢ ــ ويأمرهم بطلب العلم ففي الحديث (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) .

٣ ــ ويأمرهم بالوعي ففي القرآن (فسيروا في الأرض) .

٤ ــ ويأمرهم بطلب الدنيا ففي القرآن (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) .

٥ ــ ويأمرهم بالمشورة ففي القرآن (وأمرهم شورى بينهم) .

٦ ــ ويأمرهم بتأمين السبل ففي القرآن (فامشوا في مناكبها) .

٧ ــ ويأمرهم بمعاهدة ابدانهم وصحتهم ففي الحديث (إنما العلوم أربعة : علم الفقه لحفظ الأديان ، وعلم الطب لحفظ الأبدان ، وعلم النحو لحفظ اللسان ، وعلم النجوم لحفظ الأزمان) .

٨ – ويأمرهم بالعمران ففي القرآن (وخلق لكم ما في الأرض جميعاً) .

٩ – ويأمرهم بالنظام ففي القرآن (من كل شيء موزون) . وفي الحديث (ونظم امركم) .

١٠ – ويأمرهم بقوة الاقتصاد ففي الحديث (من لا معاش له لا معاد له) .

١١ – ويأمرهم بقوة الجيش والسلاح ففي القرآن (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) .

١٢ – ويأمرهم باحترام المرأة ففي القرآن (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) .

١٣ – ويأمرهم بالنظافة ففي الحديث (النظافة من الإيمان)

أما نقاط القوة التي ذكرها الكتاب وأمر بهدمها فهي انهم :

١ – لا يعيرون الاهتمام بالقوميات ، والإقليميات ، واللغات والألوان ، وسوابق البلاد .

٢ – وتحرم عندهم الربا ، والاحتكار ، والبغاء ، والخمر ، والخنزير .

٣ – ويتعلقون بعلمائهم أشد التعلق .

٤ – ويحترم طائفة كبيرة من السنة (الخليفة) ويعتبرونه مثالاً للرسول تجب طاعته كما تجب طاعة الله والرسول .

٥ – ويوجبون الجهاد .

٦ – ويرى أهل الشيعة نجاسة غير المسلم مهما كانت عقيدته .

٧ – ويعتقدون بأن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه .

٨ – ويرى أهل الشيعة حرمة بناء الكنائس في بلاد الإسلام .

٩ – ويرى أكثر المسلمين وجوب اخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب .

١٠ – ويمارسون العبادات (الصلاة – الصوم – الحج) ونحوها ممارسة شديدة .

١١ – ويرى أهل الشيعة وجوب اعطاء الخمس ، بدفعه إلى علمائهم .

١٢ – ويتمسكون بالعقيدة الإسلامية تمسكاً شديداً .

١٣ – ويربون أولادهم تربية دقيقة على طريقة الآباء والأجداد حتى ليستحيل الفصل للأبناء عن الآباء .

١٤ – والمرأة عندهم في حجاب شديد حتى لا يمكن تسريب الفساد إليها .

١٥ – وعندهم صلوة الجماعة التي تجمعهم في كل يوم مرات .

١٦ – وعندهم المقابر للنبي وآله والصالحين فتكون مركز تجمعهم وانطلاقهم .

١٧ — وفي أوساطهم كثرة من المنتسبين إلى الرسول (أولاده) فتذكر بالرسول ، ويجعـــل الرسول حياً في أعينهم .

١٨ — وعند أهل الشيعة (الحسينيات) التي تجمعهم في مواسم خاصة فيقوّي الواعظ الإيمان في نفوسهم ويحرضهم على العمل الصالح .

١٩ — وعندهم يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢٠ — وعندهم استحباب الزواج وكثرة النسل وتعدد الأزواج .

٢١ — وعندهم أن من هدى انساناً إلى الإسلام كان له خير من ان يملك كل الدنيا .

٢٢ — وعندهم ان (من سنّ سنة حسنة كان له اجرها وأجر من عمل بها) .

٢٣ — وعندهم تقييم كبير للقرآن والحديث واتباعها يوجب الجنة والثواب (ثم) أوصى الكتاب بتوسيع نقاط الضعف وطمس نقاط القوة ، وذكر الأدلة الكافية لكيفيـــة ذلك .

يقول الكتاب في ما يمكن ان يعمل من اجل توسيع نقاط الضعف :

١ — إن الاختلافات يمكن تركيزها بتكثير سوء الظن

بين الفئات المتنازعة ونشر الكتب التي تطعن في هذه الفئة وتلك الفئة ، واللازم بذل المال الكافي في سبيل التخريب والتفرقة .

٢ — والجهل يمكن ابقائهم عليه بالمنع عن فتح المدارس ونشر الكتب ، وإحراق ما يمكن احراقه من الكتب ، وصرف الناس عن ادخال أولادهم في المدارس الدينية بتلفيق الاتهامات ضد رجال الدين .

٣ — ٤ — ويمكن ابقائهم في حالة اللاوعي بتزيين الجنة امامهم وانهم غير مكلفين بالحياة الدنيا ، وتوسيع حلقات التصوف ، وترويج الكتب الآمرة بالزهد مثل كتاب (احياء العلوم) للغزالي ، ومنظومات (المثنوي) وكتب (ابن العربي)

٥ — ويمكن تقوية دكتاتورية الحكام ببيان (انهم ظل الله في الأرض) وأن ابا بكر وعمر وعثمان وعلياً وبني امية وبني العباس كلهم جاءوا إلى الحكم بطريق القوة والسيف وحكموا فردياً (فأبو بكر) جاء إلى الحكم بسيف عمر ، وارهابه ، واحراقه للبيوت التي لم ترضخ للطاعة كبيت فاطمة بنت محمد (وعمر) جاء الى الحكم بوصية ابي بكر ، وعثمان جاء إلى الحكم بأمر عمر ، وعلي جاء إلى الحكم بانتخاب الثوار له ، ومعاوية جاء إلى الحكم بالسيف ، ثم توارث بنوا امية الحكم . والسفاح جاء إلى الحكم بالسيف ، ثم توارث بنوا العباس الحكم ... كل ذلك دليل على أن الحكم في الإسلام دكتاتوري .

٦ — ويمكن الابقاء على عدم أمن السبل بالغاء احكام عن معاقبة اللصوص وتقوية جانب اللصوص واعطائهم السلاح واغرائهم بالعمل المستمر في طريق اللصوصية والاغتشاش .

٧ — ويمكن الابقاء على حالتهم اللاصحية بنشر مذهب (القدر) فيهم وان كل ذلك من الله ، فلا فائدة في العلاج ، الم يقل الله في القرآن (الذي هو يطعمني ويسقيني وإذا مرضت فهو يشفيني) ولم يقل (والذي يميتني ثم يحييني) فالشفاء بيد الله ، والموت بيد الله فلا سبيل للشفاء بدون ارادته ولا مهرب من الموت الذي هو قضاء الله وقدره .

٨ — والابقاء على الخراب واليباب يمكن بما ذكرناه في الحلقة الثالثة والرابعة .

٩ — ويمكن الابقاء على الفوضى ببيان أن الإسلام دين العبادة ولا نظام فيه ولذا لم يكن لمحمد ولا لخلفائه وزراء ولا أنظمة ولا إدارات ولا قوانين .

١٠ — أما تدهور الاقتصاد فهو نتيجة طبيعية لما تقدم من التدهورات ويمكن زيادته باحراق المحاصيل ، واغراق البواخر التجارية واحراق الأسواق وكسر السدود باستيلاء الماء على المزارع وعلى البلاد والقاء السم في المشارب العامة .

١١ — ويمكن الهاء الحكام في الفساد والخمر والقمار ، وبتبذير الأموال في الأمور الشخصية لكي لا يبقى المال الكافي للسلاح ولأرزاق الجيش .

١٢ — ويمكن إشاعة أن الإسلام احتقر المرأة أليس في القرآن (الرجال قوّامون على النساء) وأليس في السنة (المرأة شر كلها) .

١٣ — أما الوساخة والقذارة فهي نتيجة طبيعية لشح الماء فاللازم الحيلولة دون زيادة الماء في البلاد بأي اسم كان .

(أما) ما أوصاه الكتاب عن طمس نقاط القوة .

(فقد) أوصى الكتاب :

١ — بلزوم احياء النعرات القومية ، والاقليمية واللغوية واللونية وغير ذلك في المسلمين ، كما أوصى بلزوم جلب اهتمام المسلمين إلى سوابق حضارات بلادهم ، وابطال شخصياتهم قبل الإسلام . كاحياء الفرعونية في مصر ، واحياء الثنوية في فارس ، واحياء البابلية في العراق (إلى آخر القائمة الطويلة التي وضعها الكتاب بهذا الشأن) .

٢ — كما يلزم اشاعة الأمور الأربعة التالية : الخمر والقمار والبغاء ولحم الخنزير ان جهراً وان سراً . ثم أوصى الكتاب بلزوم التعاون الوثيق مع اليهود والنصارى والمجوس والصابئة الذين يقطنون في بلاد الإسلام في سبيل احياء هذه الأمور وجعل (مرتب) من خزينة (وزارة المستعمرات) لأجل الموظفين الذين ينشرون هــذه الأمــور بين المسلمين ،

وجعل جوائز واغراءات لكل من تمكن من ان يوسع دوائر هذه الأمور الأربعة أكثر فأكثر .. وأوصى الكتاب بلزوم حماية ممثلي حكومة بريطانيا العظمى لهذه الأمور علناً وسراً ، وضرورة بذل ما تمكن في سبيل انقاذ كل من يقع تحت وطأة عقاب المسلمين من الذين ينشرون هذه الأمور الأربعة .. كما أوصى الكتاب بنشر (الربا) بكل صورة ؛ فانه بالاضافة إلى انه هدم للاقتصاد الوطني يوجب تجرّي المسلمين على خرق قوانين القرآن ، ومن خرق قانوناً سهل عليه خرق سائر القوانين .. وقد أوصى الكتاب انه من اللازم ان يبين للمسلمين أن الحرام (هو الربا المضاعف) حيث يقول القرآن (لا تأكلوا الربا اضعافاً مضاعفة) وليس الربا بكل صورة حراماً .

٣ و ٤ — كما يجب تضعيف صلة المسلمين بعلمائهم بإلصاق التُهم بالعلماء وادخال بعض العملاء في زي العلماء ، ثم يرتكبون الجرائم ليشتبه كل رجل دين عندهم هل انه عالم او عميل . ومن المؤكد ادخال امثال هؤلاء العملاء في الأزهر — والاستانة) والنجف . وكربلاء) ومن طرق تضعيف صلة المسلمين بعلمائهم فتح المدارس لدراسة أطفال المسلمين بواسطة عملاء الوزارة ليربّوا الأطفال على كره العلماء وعلى كره الخليفة وذكر مساوئه وانه منشغل بالملذات ، وبصرف اموال الشعب في الفساد والترف ، فهو ليس مثل الرسول في أي شأن من الشؤن .

٥ — ويلزم التشكيك في أمر الجهاد ، وانه كان امراً وقتياً انقضى بانقضاء زمانه .

٦ — ويلزم اخراج فكرة نجاسة (الكفار) عن نفوس أهل الشيعة ، وبيان أن الله قال في القرآن (طعامكم حلٌ لهم وطعامهم حل لكم) وأن الرسول كان له زوجة يهودية وهي صفية وزوجة نصرانية وهي مارية ، ولا يمكن ان تكون زوجة الرسول نجسة .

٧ — ويلزم ان يعتقد المسلمون أن مقصود الرسول بالإسلام (الدين) سواء كانت يهودية أو نصرانية لا (المحمدية) بدليل أن القرآن يسمي كل أهل دين مسلماً ؛ ففي القرآن ان (يوسف) النبي قال (توفني مسلماً) وقال ابراهيم واسماعيل (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك) وقال (يعقوب) النبي لبنيه (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) .

٨ — وكيف تحرم الكنائس والرسول وخلفائه لم يهدموها ؛ بل إحترموها ، وفي القرآن (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات) والصوامع للنصارى ؛ والبيع لليهود والصلوات للمجوس ، والإسلام يحترم محلات العبادة لا انه يهدمها ويمنع عنها .

٩ — ويجب التشكيك في حديث (أخرجوا اليهود من جزيرة العرب) وحديث (لا يجتمع دينان في جزيرة العرب)

فانه لو كان الحديث صحيحاً : لم تكن زوجة الرسول يهودية ونصرانية ، وزوجة الصحابي (طلحة) يهودية، ولم يفاوض الرسول نصارى نجران...

١٠ — ويلزم صرف المسلمين عن العبادات والتشكيك في جدواها فان الله غني عن طاعة الناس ، ويلزم المنع اشد المنع عن الحج ، وعن كل اجتماع بين المسلمين مثل (صلوة الجماعة) وحضور مجالس الحسين ، والمسيرات الحزينة له : كما يلزم المنع أشد المنع عن بناء المساجد والمشاهد : والكعبة والحسينيات والمدارس :

١١ — ويجب التشكيك في الخمس وانه خاص بالغنائم المستحصلة من دار الحرب لا في أرباح المكاسب ، ثم الواجب اعطاء الخمس للنبي أو الامام لا إلى العالم ، بالاضافة الى أن العلماء يشترون بأموال الناس الدور والقصور والدواب والبساتين ، فلا يجوز شرعاً دفع الخمس إليهم .

١٢ — واللازم توهين صلة المسلمين بالإسلام بالتشكيك في العقيدة واتهام الإسلام بأنه دين التخلّف والفوضى ، ولذا تخلفت بلاد الإسلام وكثر فيهم الاضطراب والسرقة .

١٣ — والواجب الفصل بين الآباء والأبناء حتى يخرج الأبناء من تحت تربية الآباء وعند ذلك تكون التربية بأيدينا نحن وإذا خرجوا عن تربية الآباء لا بد وان ينفصلوا عن العقيدة وعن التوجيه الديني ، وعن الصلة بالعلماء .

١٤ — ويلزم اغراء (المرأة) باخراجها عن العباءة بحجة أن الحجاب عادة لخلفاء بني العباس وليست عادة إسلامية أصيلة ، ولذا كان الناس يشاهدون نساء الرسول وكانت المرأة تشترك في كل الشؤن وبعد اخراج المرأة عن العباءة لا بد من اغراء الشباب بهن ليقع الفساد بينهما واللازم ان تخرج النساء غير المسلمات من العباءة اولاً حتى تقتدى بهن المرأة المسلمة .

١٥ — ويجب تحطيم صلاة الجماعة بحجة فسق الامام واظهار مساوئه وباثارة البغضاء بين الامام وبين الذين يصلون معه بكل الوسائل والسبل .

١٦ — أما المقابر فاللازم هدمها بحجة انها لم تكن في عصر النبي وانها بدعة كما أن اللازم صرف الناس عن الزيارات بالتشكيك في كون هذه المقابر الموجودة للنبي والأئمة والصالحين ، فالنبي دفن عند قبر امه ، وابو بكر وعمر دفنا في البقيع وعثمان مجهول قبره ، وعلي دفن في البصرة ، أما في النجف فهو قبر المغيرة بن شعبة والحسين دفن رأسه في (حنانه) وجسده مجهول القبر ، وفي الكاظمية قبر الخليفتين لا قبر الكاظم والجواد من آل الرسول ، وفي طوس قبر هارون لا قبر الرضا من أهل البيت ، وفي سامراء قبور بني العباس لا قبور الهادي والعسكري والمهدي من أهل البيت ، والبقيع يجب تسويتها مع الأرض كما يجب هدم كل القباب والأضرحة الموجودة للمسلمين في كل بلادهم .

١٧ — أما آل الرسول ، فاللازم الطعن في نسبهم والتشكيك في انتسابهم إلى الرسول واللازم تلبيس غير آل الرسول بالعمة السوداء والخضراء ليختلط الأمر على الناس ويسيئوا الظن بآل الرسول ، ويشكوا في نسبهم ، كما أن اللازم نزع العمائم عن رؤوس رجال الدين والسادة ليضيع نسب آل الرسول ولكي لا يتلقى رجال الدين الاحترام عن الناس .

١٨ — والحسينيات يجب هدمها واتهامها بأنها بدعة وضلالة وانها لم تكن في عهد الرسول وخلفائه : كما يجب منع الناس عن ارتيادها بكل الوسائل ويجب تقليل الخطباء وجعل ضرائب خاصة على الخطابة يدفعها الخطيب وصاحب الحسينية .

١٩ — واللازم اشراب الحرية الى نفوس المسلمين فلكل إنسان ما يريد من الأعمال فلا يجب الأمر بالمعروف ، ولا النهي عن المنكر ، ولا تعليم الأحكام ويلزم الالقاء اليهم بأن (عيسى على دينه وموسى على دينه) (وأن احداً لا ينام في قبر احد) وأن الأمر والنهي خاص بالسلطان لا يعم الناس .

٢٠ — ويجب تحديد النسل وان لا يتزوج الرجل اكثر من زوجة واحدة ووضع القيود على الزواج مثل انه لا يحق لعربي أن يتزوج فارسية ، وبالعكس ، ولا لتركي ان يتزوج عربية وبالعكس .

٢١ — ويجب ان يمنع منعاً باتاً التبشير بالإسلام والهداية إليه وإشاعة أن الإسلام دين قومي ولذا قال القرآن (وإنه لذكر لك ولقومك) .

٢٢ — والسنن الحسنة يجب تضييق نطاقها وجعل امرها بيد الدولة حتى انه لا يحق لأحد ان يبني مسجداً او مدرسة او ميتماً او غير ذلك من السنن الحسنة والصدقات الجارية

٢٣ — كما أن اللازم التشكيك في القرآن ونشر قرائين مزيفة فيها زيادات ونقائص بحجة أن القرآن زيد فيه ونقص منه : ويلزم اسقاط الآيات التي تسب اليهود والنصارى والكفار ، واسقاط آيات الجهاد والأمر بالمعروف وترجمة القرآن إلى اللغات المحلية كالتركية والفارسية والهندية والمنع عن تلاوة القرآن العربي في غير بلاد العرب ، كما يجب منع الأذان والصلاة والدعاء باللغة العربية في غير بلاد العرب وكذلك من الضروري التشكيك في الأحاديث المروية وان يعمل بها كما يعمل بالقرآن من التحريف والترجمة والطعن .

لقد كان رائعاً جداً ما وجدته في هذا الكتاب واسمه (كيف نحطم الإسلام) وكان افضل برنامج لعملي في المستقبل . وقد قال لي السكرتير (حين ارجعت الكتاب اليه وأبديت إعجابي الشديد به) : اعلم انك لست في الميدان وحدك بل هناك جنود مخلصون يعملون نفس عملك والذين جندتهم الوزارة إلى الآن لهذه المهمة اكثر من خمسة آلاف شخص ،

وتفكر الوزارة في ان تزيد عددهم إلى مأة ألف ويوم وصلنا إلى تجنيد هذا العدد ؛ فإنه هو اليوم الذي نستولي فيه عـلى المسلمين كافة ونكون قد نسفنا الإسلام وبلاده نسفاً كاملاً (ثم أردف السكرتير) قائلاً : وإني أبشرك ان اقصى مدة تحتاجها الوزارة لتكميل هذه الخطة هي قرن من الزمان ولولم نصل نحن الى ذلك الزمان فان أبنائنا سوف يرون ذلك بأم أعينهم وما أروع المثل القائل (غيري زرع فأكلت وانا ازرع حتى يأكل غيري) وإذا تمكنت (سيدة البحار) من نسف الإسلام والاستيلاء على بلاده فقد أرضا العالم المسيحي من أتعاب اثني عشر قرناً كان المسلمون يطاردون ويهاجمون المسيحيين (وقال السكرتير) : ان الحروب الصليبية لم تكن ذات جدوى كما أن (المغول) لم ينفعوا في قلع جذور الإسلام لأن عملهم كان ارتجالاً بدون حكمة وتخطيط وكانوا يعملون أعمالاً عسكرية ظاهرة العدوان ولذا فانهم انحسروا بسرعة (أما الآن) فقد اتجه تفكير القادة من حكومتنا العظمى الى هدم الإسلام من داخله تحت خطة مدروسة دقيقة وبصبر طويل ونهائي . صحيح انا نحتاج إلى الحسم العسكري أخيراً لكن الحسم العسكري سيأتي في المرحلة الأخيرة حيث نكون أنهكنا بلاد الإسلام وضربنا الإسلام بالمعاول في كل جوانبه حتى

صار لا يقوى على تجميع قواه ورد الحرب بالمثل (ثم أردف السكرتير ايضاً) ان عظماء الأستانة كانوا على أكبر قدر من الفطنة والذكاء حيث عملوا بنفس الخطة التي قررناها نحن فقد تغلغلوا في أوساط المحمديين ففتحوا المدارس لتربيـة أولادهم وأسسوا الكنائس في اوساطهم ونشروا بينهم الخمر والقمار والدعارة وشككوا شبابهم في دينهم وأثاروا بـين حكوماتهم النزاعات وأشعلوا هنا وهناك بينهم الفتن وملؤا بيوت كبارهم بالحسناوات المسيحيات حتى ضعفت شوكتهم وقل تمسكهم بدينهم ووهت وحدتهم والفتهم واذا بالعظماء يشنون عليهم حروباً عسكرية خاطفة فيقتلع الإسلام عن جذوره في تلك البلاد .

٧

أطلعني السكرتير على السر الثاني الذي وعدني به وكنت متلهفاً له خصوصاً بعد ان ذقت طعم السر الأول ولم يكن السر الثاني إلا وثيقة في خمسين صفحة تتعرض للخطط الرامية إلى تحطيم الإسلام والمسلمين خلال قرن واحد ، حتى يكون الإسلام خبراً بعد حقيقة ، والوثيقة كانت موجهة إلى الرؤساء العاملين في حقل الوزارة ، لأجل هذا الشأن ، وهي

كانت مركبة من بنود اربعة عشر، وقد حذّرت الوثيقة من افشائها وأمرت بكتمانها أشد الكتمان لكي لا يطلع عليها المسلمون فيأخذون الخطط المضادة، وحاصل الوثيقة هو :

١ ــ التعاون الأكيد مع قياصرة روسيا للاستيلاء على المنطقة الإسلامية من بخارى، وتاجكستان، وارمينيا، وخراسان وما والاها، وهكذا التعاون الأكيد معهم في الاستيلاء على أطراف بلاد الترك المحاددة لروسيا.

٢ ــ التعاون الأكيد مع فرنسا وروسيا في وضع خطة شاملة لتحطيم العالم الإسلامي من الداخل والخارج.

٣ ــ اثارة النزاعات والخلافات الشديدة بين الدولتين التركية والفارسية واذكاء نار الطائفية والعرقية بين الجانبين، وإشعال النزاعات بين كل متجاورين من القبائل والشعوب الإسلامية، وكذلك بين البلاد الإسلامية وإحياء المذاهب الدينية حتى البائدة منها، وإثارة النزاعات بينها.

٤ ــ اعطاء قطع من البلاد الإسلامية بيد غير المسلمين (فاولاً) يثرب لليهود (وثانياً) الاسكندرية للمسيحيين (وثالثاً) يزد للزرادشت البارسيين (ورابعاً) عمارة للصابئة (وخامساً) كرمانشاه للذين يؤلهون علي بن ابي طالب (وسادساً) الموصل لليزيدية (وسابعاً) خليج فارس للهندوك بعد ان يستوردوا كميات كبيرة من الهند (وثامناً) طرابلس للدروز (وتاسعاً) قارص للعلويين (وعاشراً) مسقط للخوارج.

(ثم) اللازم تقوية هؤلاء بالمال والسلاح والخطط والخبرة لتكون هذه الفئات اشواكاً في جسم الإسلام ثم توسيع بلادها حتى تحطم كل البلاد الإسلامية.

٥ ــ التخطيط لتبضيع حكومتي الإسلام التركية والفارسية الى اكبر عدد ممكن من الحكومات المحلية الصغيرة المتنازعة كما هو الحال الآن في الهند، انطلاقاً من قاعدة (فرّق تسد) (وفرق تحطم).

٦ ــ زرع الأديان والمذاهب المزيفة في جسم بلاد الإسلام واللازم لذلك تخطيط دقيق بحيث يلائم كل دين من تلك الأديان مع هوى جمع من أهل البلاد (مثلاً) اللازم زرع اربعة اديان في جسم بلاد الشيعة، دين يؤلّه الحسين بن علي، ودين يعبد جعفر الصادق، ودين يعبد المهدي الموعود، ودين يعبد علي الرضا، والمكان المناسب للأول (كربلاء) والثاني (اصفهان) والثالث (سامراء) والرابع (خراسان) كما أن اللازم جعل المذاهب الأربعة السنية اديانا مستقلة لا ارتباط بعضها ببعض وإعادة الخلافات الدموية بينها، والدس في كتبها حتى يرى كل فئة منهم أنهم المسلمون فقط، وان ما عداهم كفار يجب قتلهم وإبادتهم.

٧ ــ نشر الفساد بين المسلمين بالزنا، واللواط، والخمر، والقمار، وأفضل وسيلة لذلك هم أصحاب الأديان السابقة الباقية في هذه البلاد، فاللازم ان يكون منهم جيش كثيف لهذه الغاية.

٨ — الاهتمام لزرع الحكام الفاسدين في البلاد بحيث يكونون آلة بيد الوزارة يأتمرون بأوامرها وينتهون عن زواجرها ، والضروري تسريب مآربنا عبرهم إلى البلاد وإلى المسلمين ، وإن امكن ان يكون الحاكم غير مسلم واقعاً فهو المفضّل ، وعليه فمن الضروري ادخال أفراد في الإسلام صورة ثم ايصالهم الى مراكز الحكم لتطبيق المآرب بواسطتهم .

٩ — منع اللغة العربية حسب الامكان ، وتوسيع اللغات غير العربية مثـل (السنسكريتية) و (البارسية) (والكردية) و (البشتو) واحياء اللغات الأصلية الدائرة في البلاد العربية : وتوسيع نطاق اللهجات المحلية المتفرعة عن العربية ، والتي توجب قطع العرب عن اللغة الفصحى التي هي لغة القرآن والسنة .

١٠ — زرع العملاء حول الحكام وايصالهم الى رتبة المستشارين لهم حتى يتسنى للوزارة النفوذ فيهم عبر المستشارين ، ومن أفضل السبل لذلك العبيد والجواري ذووا الكفاءات العالية فاللازم تربية اولئك في الوزارة ثم بيعهم في أسواق النخاسة الى المقرّبين من الحكام : كأولاد الحكام ، وزوجاتهم ، وذوي الرأي لديهم حتى يتقربوا إلى الحكام تدريجاً ، ويكونوا بعد ذلك أمهات الحكام ومستشاريهم فيحيطوا بهم كالسوار بالمعصم .

١١ — توسيع نطاق التبشير بادخال المبشرين في كل صنف

خصوصاً المحاسبين والأطباء والمهندسين ومن اليهم وزرع الكنائس والمدارس ، والمصحات ودور الكتب ، والجمعيات الخيرية في عرض بلاد الإسلام وطولها ونشر ملايين الكتب المسيحية في اوساط المسلمين مجاناً وبلا عوض والاهتمام بوضع التاريخ المسيحي الى جنب التـاريخ الإسلامي ، وزرع الجواسيس والعملاء في الأديرة والصوامع باسم الرهبان والراهبات مهمتهم تسهيل الاتصالات والتحركات المسيحية واستطلاع حركات المسلمين وأوضاعهم وشؤنهم (كما) أن اللازم تكوين جيش كثيف من العلماء من اجل تشويه تاريخ المسلمين والدسّ في كتبهم بعـد الاطلاع الكامل على أحوالهـم وأوضاعهم .

١٢ — تمييع شباب المسلمين بنات وأولاداً وتشكيكهم في دينهم وتفسيد اخلاقهم عن طريق المدارس والكتب والنوادي والنشرات والأصدقاء من غير المسلمين الذين يهيئون هذا الشأن . فمن الضروري تكوين جمعيات سرية من شباب اليهود والنصارى وغيرهما من أجل أن يكونوا مصائد لصيد شباب المسلمين بكل الطرق .

١٣ — اشعال الحروب والثورات الداخلية ، والحدودية بين المسلمين وغير المسلمين ، وبين المسلمين انفسهم على طول الزمان لتستنفد قوى المسلمين وتشغلهم عن التفكير في التقدم ، وتوحيد الصف ، ولتستنزف طاقاتهم الفكرية ومواردهم المالية

وتفني شبابهم وذوي النشاط منهم وتنشر الفوضى والارباك والشغب فيهم .

١٤ — تحطيم كل أنواع اقتصادياتهم من مزارع ومعاش وتهديم السدود وطمس الأنهر والسعي لتفشّي البطالة فيهم بتنفيرهم عن العمل ، وفتح محلات للبطالة وتكثير مستعملي (الافيون) وسائر المواد المخدرة .

وقد كانت هذه البنود مشروحة شرحاً وافياً . ومزوّدة بالخرائط والصور والأشكال . ....

شكرت السكرتير على تزويده لي بصورة من هذه الوثيقة وبقيت في لندن مدة شهر آخر حتى أتتنا أوامر الوزارة بالتوجّه الى العراق مرة اخرى ، لتكميل الشوط مع (محمد الوهاب) وقد أمرني السكرتير بأن لا أفرّط في حقه مقدار ذرة حيث قال (انه حصل من مختلف التقارير الواردة اليه من العملاء أن الشيخ افضل شخص يمكن الاعتماد عليه ليكون مطيــة لمآرب الوزارة) .

ثم قال السكرتير : تكلّم مع الشيخ بصراحة وقال ان عميلنا في اصفهان تكلم معه بصراحة وقبل الشيخ العرض على شرط ان تحفظه من الحكومات والعلماء الذين لا بد وان يهاجموه بكافة السبل حينما يُبدي آرائه وأفكاره وان يزوّده بالمال الكافي والسلاح اذا اقتضى الأمر ذلك ، وان تجعل له امارة ولـــو

صغيرة في أطراف بلاده (نجد) وقد قبلت الوزارة كل ذلك .

لقد كدت أخرج عن جلدي من شدة الفرح بهذا النبأ ، ثم قلت للسكرتير : إذن فما هو العمل الآن ؟ وبماذا أكلف الشيخ ، ومن اين ابدء (قال) السكرتير لقد وضعت الوزارة خطة دقيقة لأن ينفذها الشيخ وهي :

١ — تكفير كل المسلمين واباحة قتلهم وسلب أموالهم وهتك اعراضهم وبيعهم في اسواق النخاسة ، وحلية جعلهم عبيداً ونسائهم جواري .

٢ — هدم الكعبة باسم أنها آثار وثنية ان امكن ومنع الناس عن الحج وإغراء القبائل بسلب الحجاج وقتلهم .

٣ — السعي لخلع طاعة الخليفة ، والإغراء لمحاربته وتجهيز الجيوش لذلك ، ومن اللازم ايضاً محاربة (أشراف الحجاز) بكل الوسائل الممكنة ، والتقليل من نفوذهم .

٤ — هدم القباب والأضرحة والأماكن المقدسة عنـــد المسلمين في مكة والمدينة وسائر البلاد التي تمكنه ذلك فيها باسم أنها وثنية وشرك والاستهانة بشخصية النبي (محمد) وخلفائه ورجال الإسلام بما يتيسّر .

٥ — نشر الفوضى والارهاب في البلاد حسب ما يمكنه ذلك .

٦ ـ نشر قرآن فيه التعديل الذي ثبت في الأحاديث من زيادة ونقيصة .

قال السكرتير لي بعدما بيّن البرنامج المذكور : لا يهولنك هذا البرنامج الضخم فان الواجب علينا ان نبذر البذرة وستأتي الأجيال الآتية ليكملوا المسيرة ، وقد اعتادت حكومة بريطانيا العظمى على النفس الطويل ، والسير خطوة خطوة ، وهل (محمد) النبي إلاّ رجل واحد تمكن من ذلك الانقلاب المذهل؟ فليكن (محمد عبد الوهاب) مثل نبيّه (محمد) ليتمكن من هذا الانقلاب المنشود .

بعد ايام استأذنت الوزير والسكرتير ، وودعت الأهل والأصدقاء ، وحين اردت الخروج قال ولدي الصغير : بابا ارجع بسرعة فانهمرت عيناي ، ولم اتمكن اخفاء ذلك عن زوجتي ، وقبلتها وقبلتني قبلات حارة ، وخرجت قاصداً نحو البصرة ، وبعد سفرة مضنية وصلت اليها ليلاً وذهبت الى دار (عبد الرضا) وكان نائماً ، ولما رآني رحب بي واستقبلني استقبالاً حاراً ونمت هناك حتى الصباح وقال لي : ان الشيخ محمد رجع الى البصرة ثم سافر واودع عنده كتاباً موجهاً اليك ، وفي الصباح قرأت الكتاب واذا به يخبرني فيه انه سافر الى نجد ، وقد ذكر عنوان محله في (نجد) فسافرت في الصباح ميمماً وجهة نجد ووصلتها بعد مشقة بالغة وجدت الشيخ محمد في داره ، وقد ظهرت عليه آثار الضعف فلم

ابح له بشيء ثم تبين لي فيما بعد انه تزوج وانه ينهك قواه مع زوجته ، فنصحته بالاقلاع فسمع كلامي ، وقد صار القرار ان اجعل نفسي عبداً له قد اشتراه من السوق وأن العبد الآن جاء من السفر ، وهكذا كان ، فشهر عند اصدقائه اني عبده اشتراه من البصرة وانه كان في سفر امره بذلك السفر وانه جاء الآن ، وتلقاني الناس بهذا الاسم وبقيت عنده سنتين وهيأنا الترتيب اللازم لاظهار الدعوة . وفي سنة (١١٤٣) هجرية قويت عزيمته وقد جمع أنصاراً لا بأس بهم فأظهر الدعوة بكلمات مبهمة والفاظ مجملة لأخص خواصه ، ثم جعل يوسع رقعة الدعوة ، والففت انا حوله عصابة شديدة المراس زودناهم بالمال وكنت أشد عزيمتهم كل ما أصابهم خور من اجل مهاجمة اعدائه له ، وكلما أظهر الدعوة اكثر صار اعدائه اكثر ، وأحياناً كان يريد التراجع من ضغط بعض الاشاعات ضده ، لكني كنت اشد من عزيمته ، وأقول له : ان (محمد النبي) رأى أكثر من ذلك وأن هذا هو طريق المجد وأن كل مصلح لا بد وان يتلقى العنت والارهاق .

وهكذا كنا مع الأعداء بين الكر والفر وقد وضعت على اعداء الشيخ جواسيس شريتهم بالمال ، فكلما أرادوا اثارة فتنة اخبرنا الجواسيس بقصدهم فنتمكن من قلب الخطة . وذات مرة اخبرت ان بعض اعدائه أرادوا اغتياله فوضعت الترتيبات اللازمة لافشال الخطة ، ولما ظهر قصد اعدائه بارادتهم

اغتيال الشيخ انقلبت الخطة عليهم وأخذ الناس يفرون منهم.

لقد وعدني (الشيخ) بتنفيذ كل الخطة السداسية الا انه قال: انه لا يتمكن في الحال الحاضر إلا على الاجهار ببعضها وهكذا كان، وقد استبعد الشيخ ان يقدر على (هدم الكعبة) عند الاستيلاء عليها، كما لم يبح عند الناس بأنها وثنية وكذلك استبعد قدرته على صياغة قرآن جديد وكان اشد خوفه من السلطة في (مكة) وفي (الاستانة) وكان يقول: إذا أظهرنا هذين الأمرين لا بد وان يجهز الينا جيوش لا قبل لنا بها، وقبلت منه العذر لأن الأجواء لم تكن مهيئة كما قال الشيخ.

بعد سنوات من العمل تمكنت الوزارة من جلب (محمد بن سعود) إلى جانبنا فأرسلوا إلي رسولاً يبين لي ذلك ويظهر وجوب التعاون بين (المحمدين) فمن محمد الوهاب الدين، ومن محمد السعود السلطة، ليستولوا على قلوب الناس واجسادهم فان التاريخ قد اثبت أن الحكومات الدينية اكثر دواماً وأشد نفوذاً وارهب جانباً.

وهكذا كان وبذلك قوي جانبنا قوة كبيرة وقد اتخذنا (الدرعية) عاصمة للحكم (والدين الجديد) وكانت الوزارة تزود الحكومة الجديدة سراً بالمال الكافي كما اشترت الحكومة الجديدة في الظاهر عدة من العبيد كانوا من خيرة ضباط الوزارة الذين دربوا على اللغة العربية والحروب الصحراوية فكنت انا واياهم (وعددهم احد عشر) نتعاون بوضع الخطط

اللازمة، وكان (المحمدان) يسيران على ما نضع لهما من الخطط، وكثيراً ما نتناقش الامر مناقشة موضوعية اذا لم يكن امر خاص من الوزارة.

وقد تزوجنا جميعاً من بنات العشائر، وقد اعجبنا باخلاص المرأة المسلمة لزوجها وبذلك اشتبكت أواصر الصلة بيننا وبين العشائر اكثر فاكثر والامر الآن يسير من حسن الى أحسن، والمركزية تتقوى يوماً بعد يوم واذا لم تقع كارثة مفاجئة فقد بُذرت البذرة الصالحة لأن تنمو وتنمو حتى تؤتي الثمار المطلوبة.

٢/١/١٩٧٣